المُعرّف الرقمي: DOI: https://doi.org/10.31430/VRYO6475

إيزابيل إيرنو | Isabelle Ernot*
ترجمة حنان السقاط | Hanane Sekkat**

تاريخ النساء وأولى المؤرخات المهتمات به في فرنسا (القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) ***

Women's History and Pioneering Women Historians in 19th and Early 20th Century France****

تبحث الدراسة في الجذور المبكرة لتاريخ النساء في فرنسا، وتراجع التصور الذي يجعل سبعينيات القرن العشرين نقطة البداية لهذا الحقل. وتتتبّع، من خلال دراسة نحو مئة مؤلَّف لنحو خمسين كاتبة، الكتابة عن ماضي النساء منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى أربعينيات القرن العشرين. وتكشف عن تحولات في هذا الإنتاج؛ إذ هيمنت في النصف الأول من القرن التاسع عشر قواميس التراجم والسير الجماعية التي أبرزت حضور النساء في مجالات السلطة والفكر والدين والفنون، قبل أن تتراجع لصالح السير الفردية والمؤلفات الموضوعاتية. وفي فترة ما بين الحربين، برز الاهتمام بتاريخ النسوية وظهرت أطروحات جامعية تناولت النساء من زوايا متعددة. وتصنّف الدراسة الكاتبات إلى ثلاث فئات: الأديبات، والهاويات، والحاصلات على شهادات أكاديمية، وتطرح بذلك إشكالية مفهوم "المؤرخة" وحدوده في سياق مأسسة التاريخ واحترافه. وتخلص إلى أن هذه الكتابات، رغم بقائها إلى حد بعيد خارج المؤسسة الأكاديمية وتصنيفها غالبًا ضمن الأدب، أسهمت في إبراز حضور النساء ومواجهة التصورات التي كرّست دونيتهن، وشكّلت مرحلة تأسيسية مهّدت لتبلور تاريخ النساء بوصفه حقلًا أكاديميًا في فرنسا منذ سبعينيات القرن العشرين.

كلمات مفتاحية: تاريخ النساء، المؤرخات، الكتابة التاريخية، تاريخ النسوية، فرنسا.

The study examines early women's history in France and challenges the notion that it emerged in the 1970s. Drawing on an analysis of around one hundred works by approximately fifty women writers, it traces writing on women's history from the late 1700s through the 1940s. It identifies significant shifts: while collective biographical dictionaries and biographical compilations dominated the early 1800s, focused on women's presence in authority, intellectual life, religion, and the arts, this gradually gave way to individual biographies and thematic studies. During the interwar period, interest in the history of feminism grew, reflected in university theses. This study identifies three categories of women historians: literary writers, amateurs, and academically trained scholars, thereby raising questions about the concept of the "historian". It concludes that, although these writings remained largely outside the academic establishment and were often classified as literature, they helped solidify women's presence and challenge their subordinate status. They thus constituted a formative stage that paved the way for the emergence of women's history in France from the 1970s onward.

Keywords: Women's History, Women Historians, Historical Writing, History of Feminism, France.

* مؤرخة فرنسية، جامعة باريس السابعة.
French historian, Université Paris VII-Denis Diderot, Paris, France.
Email: isabelle.ernot@wanadoo.fr
** أستاذة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب.
Professor of Islamic Studies, Faculty of Arts and Humanities, Sais–Fez, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Morocco.
Email: sekkathanane@gmail.com

*** ألحقت المؤلفة النص بلائحة المؤلَّفات التي درستها، وكانت قاعدةً لاستخلاص مواد المقالة؛ وقد ارتأينا عدم إدراجها في الترجمة، ويمكن العودة إليها لمن يهمه الأمر في المقالة الأصل بالفرنسية.

**** هذا النص ترجمة عن الفرنسية للدراسة المنشورة في: *Revue d'Histoire des Sciences Humaines*, vol. 1, no. 16 (2007), pp. 165–194.

بدأ الاهتمام في فرنسا، خلال سبعينيات القرن العشرين، بتاريخ النساء[1] بوصفه موضوعًا للبحث التاريخي[2]. وقد تطورت الدراسات في إطار مؤسساتي تبنّته في الغالب نساء ينتمين إلى الجامعات ومراكز البحث الأكاديمي. لكن، هل كان هذا الأمر فعلًا بمنزلة "بداية من الصفر" كما اعتقدت تلك الرائدات آنذاك؟[3] أما أنا، وعلى غرار أخريات، فقد وجّهت اهتمامي إلى دراسة أصول تاريخ النساء بغية فهم دلالاته وتداعياته[4]. وفي سنة 1980، لفتت ناتالي زيمون دافيس الانتباه إلى وجود مؤرّخات عشن بين نهاية القرون الوسطى وبداية العصر الحديث، وأكدت دراسات أخرى أهمية الإرث الذي خلّفته مؤرخات متخصصات في تاريخ النساء[5].

وفي ما يخص المرحلة 1750-1940، سردت بونيه سميث عدة حالات في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية[6]. وإلى جانب ذلك، أوضحت الباحثة عينها في كتابها *The Gender of History*، أن مادة التاريخ تأسست أصلًا على اعتبار وجود اختلافات بين الجنسين، وعلى تأكيد صفة "الهاويات" حين الحديث عن المؤرّخات اللواتي اشتغلن خارج المؤسسات المعترف بها[7]. وقد عملت ماري سبونغبيرغ، من جهتها وفق منظور أكثر شمولية، على رصد تطور تاريخ النساء منذ زمن النهضة حتى الفترة المعاصرة[8]. والحال أن أعمالًا قليلة العدد وُجّهت خصيصًا إلى دراسة حالات بعينها[9]. وفي فرنسا تحديدًا، فإن سيمنار "النساء والتاريخ"، وقد دأب على تنظيمه طوال سنوات عديدة معهد التاريخ الحديث والمعاصر IHMC، اجتهد لضبط مفهوم "المؤرخة". وفي وقت لاحق قريب، اهتمت بالموضوع الجمعية الدولية لدراسة النساء خلال النظام القديم Société Internationale pour l'Etude des femmes d'Ancien Régime، فنظّمت ندوة بعنوان "النساء وكتابة التاريخ: 1400-1800"[10]. واستنادًا إلى هذه الأبحاث، تتسم مقاربتي بطموح منهجي أوسع، لأنها لا تقتصر على الاهتمام بالكاتبات وحدهن، وقد أمكن حصر نحو خمسين منهن ضُبطت أسماؤهن وأعمالهن بين نهاية القرن الثامن

1 انبثقت فكرة كتابة هذه المقالة من الرغبة في تأصيل رد فعل إزاء الانتقاد الذي عبّرت عنه لجنة مناقشة أطروحتي بشأن استعمال لفظ "مؤرخات" عند الحديث عن أديبات أفردن أعمالهن لكتابة تاريخ النساء بين القرن الثامن عشر وأربعينيات القرن العشرين. ويبدو لي أن الانتقاد ينبني على سوء فهم؛ إذ لم يكن قصدي، كما أوضحت، اعتبار هؤلاء الأديبات مؤرخات بالمعنى المؤسساتي للمهنة، كما لم أسعَ إلى إثبات كفاءاتهن في ميدان الكتابة التاريخية، بل كنت أسعى إلى المضي بعيدًا في تقصّي الجذور التاريخية لتاريخ النساء وتحليل رهانات الكتابة فيه. وفي هذا الإطار، بدا لي مشروعًا إضفاء صفة "المؤرخات" و"التاريخ" انطلاقًا من فهم التاريخ باعتباره كتابة سردية للماضي. وقد طُرح هذا التصور الواسع في أعمال كريستيان أمالفي، حيث قدّم ما وصفه بـ "بانوراما للسبل المتنوعة للتعامل الإيجابي مع التاريخ"، ينظر:
Christian Amalvi, *Répertoire des auteurs de manuels scolaires et de livres de vulgarisation historique de langue française de 1660 à 1960* (Paris: La Boutique de l'Histoire, 2001).

2 Françoise Thébaud, *Écrire l'histoire des femmes* (Fontenay-Saint-Cloud: ENS Éditions, 1998); M. Perrot, *Les femmes ou les sciences de l'histoire* (Paris: Flammarion, 1998).

3 اعتبرت نسويات الموجة الثانية سنة 1970 "السنة الانطلاقة من الصفر" لتحرير المرأة:
F. Picq, *Libération des femmes*, Les années-mouvement (Paris: Seuil, 1998).

4 I. Ernot, "Eugénie Vauvilliers, Arvède Barine e la storia delle donne nella Francia dell'Ottocento," in: Maura Palazzi & Ilaria Porciani (eds.), *Storiche di ieri e di oggi: Dalle autrici dell'Ottocento alle riviste di storia delle donne* (Rome: Viella, 2004), pp. 93-106.

5 N. Davis Zemon, "Gender and Genre: Women as Historical Writers 1400-1820," in: P. H. Labalme, *Beyond their Sex: Learned Women of the European Past* (New York: New York University Press, 1980), pp. 153-182.
تُرجم هذا العمل إلى الفرنسية عام 2006.

6 B.G. Smith, "The Contribution of Women to Modern Historiography in Great Britain, France, and the United States, 1750-1940," *The American Historical Review*, vol. 89, no. 3 (1984), pp. 709-732.

7 B.G. Smith, *The Gender of History: Men, Women, and Historical Practice* (Cambridge: Harvard University Press, 1998).

8 لا سيما في العالم الأنكلوسكسوني: M. Spongberg, *Writing Women's History since the Renaissance* (New York: Palgrave Macmillan, 2002).

9 خصص ويتني والتون مؤلّفًا كاملًا لأربع نساء، منهن هورتونس ألار دوميريتين، كما أفردت دوروثي كوفمان مؤلّفًا لإيديث توماس:
W. Walton, *Eve's Proud Descendants: Four Women Writers and Republican Politics in Ninetieth-Century France* (Stanford: Stanford University Press, 2000); D. Kaufmann, *Édith Thomas: A Passion for Resistance* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004).

10 ومقره باريس، وقد نشرت أعمال السينمار في عدة نشرات، وخصصت محاور بعينها لمؤرخات:
N. Pellegrin (dir.), *Histoire d'historiennes*, Colloque organisé par la Société Internationale pour l'Étude des Femmes d'Ancien Régime (SIEFAR), Rouen, Mai 2005 (Saint-Étienne: Publications de l'Université de Saint-Étienne, 2006).

عشر وأربعينيات القرن العشرين، ولا بالنساء بوصفهن موضوعًا لهذه المؤلّفات، وإنما تركّز على الخطابات المختلفة المنتَجة حول ماضي النساء[11]. وفي السياق نفسه الذي تندرج فيه أعمال روجيه شارتييه، يبرز اهتمام خاص بالتمثّلات التاريخية وما تنطوي عليه من رهانات[12]. وعمليًا، بعد تحديد ملامح هذه المرحلة الأولى من تاريخ النساء، من خلال تحليل طبيعة هذه المؤلّفات ومحتوياتها، وهي مؤلّفات كُتبت بين الثورة الفرنسية وأربعينيات القرن العشرين، أطرح السؤال المحوري المتعلق بمدى أهلية هؤلاء الكاتبات وقدرة المادة التاريخية على الكشف على خصوصيات الفترة السابقة لتبلور تاريخ النساء بوصفه حقلًا معرفيًا[13]. فهل يجوز وصفهن بـ "المؤرخات"؟ وما الذي يكشف عنه استعمال هذا المصطلح خارج حدوده المهنية الدقيقة من تطور مهن النساء وتشكّل صيغة مبكرة لتاريخ النساء؟

وهذه الدراسة، في واقع الأمر، خلاصة دراسة بحثية موسّعة أُنجزت اعتمادًا على فهارس مكتبة فرنسا الوطنية BNF؛ إذ يضم الجدول المستخلص المؤلّفات المسجّلة في هذه الفهارس. ويتعلق الأمر بنحو مئة مؤلّف، أنجزتها قرابة خمسين مؤلّفة، صُنّف معظمها في خانة الكتب العامة، في حين لم يتجاوز عدد الأطروحات الجامعية، بدءًا من نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر 11 أطروحة. والواقع أن هذا الإنتاج المتعلق بتاريخ النساء لا يُعدّ هامشيًا إذا ما قورن بالإنتاج الإجمالي في المجال. وقد أظهرت استمارة إحصائية خُصصت لدراسة الإنتاج المتحصل خلال الفترة 1870-1940، أن ما كُتب بين عامَي 1870 و1914 في تاريخ النساء، بمختلف مراحله، شكّل أساسًا معرفيًا شاملًا شهد تزايدًا مطّردًا[14].

أولًا: كرونولوجيا أصناف الكتابات والتمثلات

أتاحت القراءة المتأنية لهذه المؤلّفات إبراز تسلسل زمني لنماذج الكتابة والتمثّلات، وأبرزت جليًا وجود توتر متعدد الأشكال والدرجات داخل الحقل التاريخي. وضمن هذا التراكم المصنّف، يهيمن صنفان من المؤلّفات: السير (التراجم)، والمؤلفات الموضوعاتية. ويتفاوت الصنف الأول من حيث الكم؛ إذ تضمّ قواميس التراجم عشرات المداخل، بل مئات منها، من ذلك على سبيل المثال **القاموس التاريخي والأدبي** من تأليف فورتينيه بريكي Fortunée Briquet (1782-1815)[15]، ويضم 559 مدخلًا مخصصًا "لتراجم الفرنسيات والنساء الأجنبيات المجنّسات في فرنسا والمعروفات بكتاباتهن وبإسهامهن في الحياة الأدبية". وتندرج أيضًا ضمن التصنيفات نفسها أعمال أخرى، مثل الكتاب الذي أصدرته ستيفاني دوجونليس Stéphanie de Genlis سنة 1811 بعنوان "عن تأثير

11 يفسر هذا الخيار عدم وضع ضمن اللائحة كاتبة من قيمة ماري داكولت، لأنها نشرت أعمالها باسم مستعار هو دانييل ستيرن Daniel Stern. وقد كتبت مؤلفات في التاريخ لا سيما سنة 1872، وليس عن تاريخ النساء. ويتتبع مؤلّفها عن تاريخ ثورة 1848، الذي كتبته بين عامَي 1850 و1853، عن قرب الوقائع، كما أنها كتبت نصوصًا مسرحية عن نساء متميزات:

Marie d'Agoult, *Trois journées de la vie de Marie Stuart* (Paris: Imprimerie de Pillet Fils Aîné, 1856); Marie d'Agoult, *Jeanne d'Arc: drame historique en cinq actes et en prose* (Paris: Michel Lévy Frères, 1857).

12 R. Chartier, *Au bord de la falaise: L'histoire entre certitudes et inquiétude*, Collection Histoire (Paris: Bibliothèque Albin Michel, 1998), pp. 67-86.

13 في ما له صلة بالتقعيد المؤسساتي للتخصص، ينظر:

C. O. Carbonell, *Histoire et historiens: Une mutation idéologique des historiens français* 1865-1885 (Toulouse: Privat, 1976); G. Noiriel, *Sur la "crise" de l'histoire* (Paris: Belin, 1997); Christian Delacroix, François Dosse & Patrick Garcia, *Les courants historiques en France: XIXe-XXe siècles* (Paris: Armand Colin, 1999).

14 ضُبط الإحصاء تأسيسًا على ما ورد في قوائم مجلة *Revue Historique*، وفهرست المجلات المتخصصة التي دأبت هذه المجلة على نشرها في الملحق، وتأخذ العملية كذلك في الاعتبار الاجتهادات في تاريخ الفنون. ومن باب التأصيل أكثر، جرى الاعتماد على أبحاث في قوائم المكتبة الوطنية الفرنسية وقد جرت رقمنتها. ولم يدرس التقييم الفترة 1800-1870.

15 "Dictionnaire historique, littéraire et bibliographique des Françaises et des étrangères naturalisées en France connues par leurs écrits, ou par la protection qu'elles ont accordée aux gens de lettres."

النساء في الآداب الفرنسية بوصفهن راعيات للأدب وكاتبات، أو موجز تاريخ النساء الفرنسيات الأكثر شهرة"[16]، ويضمّ 74 مدخلًا. وكذلك كتاب أديلاييد ديفريكاس ديفورني Adélaïde de Férussac Defrénoy الصادر سنة 1816 بعنوان **تراجم الفتيات اليافعات، أو سير النساء المشهورات منذ عهد العبرانيين إلى العصر الحديث**[17]، ويحتوى على 150 مدخلًا.

وإذا كانت السير الذاتية تُعنى بشخصية بعينها، فإن المؤلّفات الموضوعاتية تنتظم حول ثيمة "تاريخ النساء/ المرأة"، أو تتناول موضوعات متصلة بها ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي أو فكري.

ويتضح من خلال بحث ميداني طويل الأمد أن تاريخ النساء لم يُدوَّن بالطريقة نفسها خلال الفترة المشار إليها. ومن المؤشرات على ذلك أن الأصناف المختلفة للكتابات تسمح فعلًا بضبط فترتين متميزتين. تقع الأولى بين مطلع القرن التاسع عشر والعقد السادس منه، وتتميز بأهمية المصنّفات وقواميس التراجم، وعددها نحو خمسة عشر مصنّفًا تعرض مداخل بيوغرافية مكتملة العناصر إلى حدٍ ما. والواضح أن هذا الصنف من المؤلّفات أمّن بقوة، طوال عقود، تمثيليةً تاريخية للنساء، ويعرض لنساء في السلطة وعالمَي الفكر والدين، وأخريات وصفهن بالبطلات[18]. وفي ما له صلة بممارسة السلطة، فقد همّت جميع المناطق والفترات، ووردت أسماء ملكات وزوجات ملوك وأمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وعشيقاتهم، وأخريات من القريبات من العائلة الملكية نفسها. إنهن نساء ينتمين إلى مختلف مراتب الطبقة النبيلة، من الدوائر الملكية العليا إلى أدنى مراتب النبلاء، وقد شاركن في ممارسة السلطة أو اقتربن من دوائرها واكتسبن نفوذًا وقدرة على التأثير.

ويظهر التنوع كذلك على نطاق واسع في مجال الآداب والفنون، حيث تُذكر أسماء نساء أديبات وشاعرات وفيلسوفات وعالمات (العلوم التجريبية كالكيمياء والرياضيات والفلك ... إلخ)، ومتخصصات في الشؤون الدينية، وفنانات (رسامات وموسيقيات في غالبيتهن)، وكذلك نساء احترفن مهنًا تتطلّب قدرًا من المعرفة والتكوين والممارسة كطبيبات وأستاذات ومحاميات ... إلخ. وعمليًا، تتداخل صورة البطلات مع دوائر السلطة، لأن عددًا كبيرًا منهن ينتمي إلى الأوساط الملكية والطبقة النبيلة. وتضمّ هذه النماذج أيضًا نساءً من عامة الناس، وقد ذُكرن جميعًا باعتبارهن حملن السلاح، أو قُدن الجيوش أو مارسن العنف. وتُظهر الحصيلة أن موضوعَي الشجاعة والموت يحضران بقوة في هذه الكتابات. غير أن حقل التمثّلات شهد، نحو منتصف القرن التاسع عشر، تحولًا تمثّل في اختفاء شبه تام لمصنفات السير الجماعية، ما ترتّب عليه تغييب جزء كبير من تاريخ النساء، شمل شخصيات نسائية تنتمي إلى فترات تاريخية مختلفة ممن استحضرت ذكراهن مؤلّفات النصف الأول من القرن بفضل الكتابة التاريخية التي تجاوزت حدود حقل التمثلات. والحال أن أفول زمن التراجم الجماعية دشّن بداية عهد جديد انطلق في عقد الستينيات، واستمر إلى نهاية فترة ما بين الحربين العالميتين، أساسه إنتاج تراجم شخصية أو مؤلفات موضوعاتية. وقد طُرحت فعلًا مشاريعُ قواميس أو موسوعات رُوّج لها خلال النصف الأول من القرن العشرين، بيد أن مبتغاها القاضي بمسح شامل لجميع الأزمنة التاريخية جعل تنفيذها أقرب إلى تاريخ

16 "De l'influence des femmes sur la littérature française, comme protectrices des lettres et comme auteurs, ou Précis de l'histoire des femmes françaises les plus célèbres."

17 "Biographie des jeunes demoiselles ou vies des femmes célèbres depuis les Hébreux jusqu'à nos jours."

18 خلال الفترة المعروفة في فرنسا بـ "الزمن الإمبراطوري" Epoque impériale، يبدو أن الكاتبات تحاشين الخوض في ما له صلة بالسلطة. وانصب اهتمام الكاتبتين اللتين أصدرتا أعمالًا حينئذ (فورتينيه بريكي وستيفاني دوجونليس)، على النساء الأديبات، وابتعدن، عن قصد، عن التطرق إلى الشأن السياسي، علمًا أن الشخصيات المدروسة تنتمي في الآن نفسه إلى عالمي السياسة والفكر.

الجنسين، وكانت النتيجة أن 37 في المئة مما كتب بين عامَي 1914 و1940 يندرج ضمن تراكم مقصد طوباوي[19]. وخلال هذه الفترة الثانية، قُدّمت أطروحات لنيل شهادة الدكتوراه في القانون والآداب، موضوعها الرئيس هو "النساء"، وقد تعامل أصحابها مع النساء من زوايا تاريخية وسوسيولوجية وأدبية مختلفة[20].

وبالموازاة مع التنوع في نماذج الكتابات، برز تنوع في التمثلات. فقد ترتّب على الغياب شبه التام للقواميس والمؤلّفات تغييبُ التعريف بالنساء العالمات والنساء العسكريات. وفي المقابل، غُلّب ميدان السلطة السياسية، بما ترتّب عليه من تقليص للامتدادين الزمني والمجالي والتركيز على فرنسا والفترة الحديثة. ولم يجرِ الاهتمام عمليًا بالمرحلة القديمة والقرون الوسطى. ولأن السلطة السياسية أضحت الموضوع الأول والرئيس، فقد تبيَّنت صعوبة تناولها بمعزل عما سواها، لا سيما أن الإكراهات المستجدة في الكتابة التاريخية فرضت نفسها منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأضحت مصدرًا لصعوبات إضافية في كتابة تاريخ النساء. وإن وُجدت فعلًا مصادر تاريخية، فإن تلك الصادرة عن الدولة، دلّت، على خلاف المتوقع، على غياب النساء من دوائر السلطة، أو بالأحرى على ضعف حضورهن فيها. وبناء عليه، فإن الاجتهادات التي اعتمدت أساسًا على المذكرات الشخصية والمراسلات تناولت النساء اللواتي شغلن مواقع "على هامش السلطة" من خلال علاقتهن بالحاكم: أمهات وزوجات وعشيقات وبنات وأخوات وبنات عمومة. ثم إن بعض النساء اللواتي مارسن السلطة، اقترنّ بسمعة مشينة جعلت من الصعب تقديمهن بوصفن قدوة، باستثناء حالة بلانش قشتالة Blanche de Castille. وقد وجدت الكاتبات صعوبة في رسم صور إيجابية للشخصيات النسائية الممارسة للسلطة، بخلاف ما كان عليه الأمر في زمن إنتاج القواميس والمؤلّفات، بفعل اتساع الفترات الزمنية والمجالات التي تناولتها، واعتمادها أساسًا على نهج النبذة القصيرة التي نادرًا ما كانت تحيل إلى المصادر.

وعلى مستوى تراكمي آخر، وإن لم يكن منفصلًا عن الموضوع الرئيس، شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور كاتبات نبشن في التاريخ المسيحي بوصفه إطارًا لتاريخ النساء. فقد مثّلت شخصية مريم نهاية مرحلة الهيمنة الذكورية في أقصى تجلياتها، ودشّنت، على مستوى التمثّل، زمنًا اتسم بتطور إيجابي وشبه مستدام، شكّل فاتحة مرحلة جديدة تميزت بقدر أكبر من المساواة بين الجنسين[21].

وخلال الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين، اتسمت الكتابات باندفاع ملحوظ؛ فإلى جانب تمثّلات النساء الممارسات للسلطة أو القريبات من دوائرها، برزت تمثّلات التيار النسوي. وعمليًا، اجتهدت العديد من الكاتبات في "اختلاق" تاريخ للنسوية من خلال البحث عن أصول الحركة النسوية في مختلف الحقب التاريخية الكبرى. فجعلت أليس دو بابيه Alice de Payer سنة 1922 بداية هذه الأصول في لحظة الاحتجاج، في حين أرجعتها إيدمي شاربيه سنة 1931 إلى الحقبة القديمة.

ومهما يكن، فقد قُدّمت ونوقشت، خلال العشرينيات والثلاثينيات، أطروحات عديدة في تاريخ النساء، اختارت غالبيتها المقاربة في الزمن الطويل، عبر قرون عديدة أو آلاف السنين، وهو ما أتاح للكاتبات تشييد مسارات تاريخية وتتبّع مظاهر التطور عبر الزمن. ومن المفارقات اللافتة أن هذه الأطروحات لم تجد لها مكانًا ضمن تراكم الأبحاث الأكاديمية المكرّسة لمواضيع تاريخية خالصة،

19 هي مشاريع البحث لهيلين بريون وجين بوفييه. ومن شدة الرغبة في كتابة **الموسوعة النسائية** *Encyclopédie Féminine*، راكمت الأولى خلال مسارها الطويل معلومات في شأن عدة شخصيات من القرون الماضية، ودونت 166 دفترًا يُحتفظ بها في أرشيف المعهد الفرنسي للتاريخ الاجتماعي L'Institut Français d'Histoire Sociale، وتضم نبذًا منسوخة أو قصاصات من الجرائد. أما مؤلف الكاتبة الثانية بعنوان **تاريخ النساء الشهيرات** *Histoire des femmes célèbres*، فضم 270000 نبذة. فصل في الأمر:
C. Bard, *Les filles de Marianne: Histoire des féminismes,* 1914-1940 (Paris: Fayard, 1995), pp. 432-433.

20 زمنها كانت ميادين البحث الجامعي المؤهّل للحصول على شهادة الدكتوراه هي الطب والصيدلة والعلوم والآداب والقانون واللاهوت.

21 I. Ernot, "Clarisse Bader (1840-1902): Les difficultés de l'intellectuelle dans la cité. Approche de la configuration sexuée du champ intellectuel dans la seconde moitié du XIXe siècle," in: *Les intellectuels dans la cité. Identités, sociabilités et fonctions intellectuelles, de l'antiquité à nos jours* (Rouen: Presses Universitaires de Rouen, [à paraître]).

والتي كانت تتميز غالبًا بقصر المدة الزمنية المدروسة؛ إذ لا تتعدى في العادة فترة حياة الشخصية موضوع الدراسة، ومن ثم انحصر ميدانها البحثي في القانون وعلم الاجتماع.

تتأسس عملية التجميع التي أُنجزت في فترة لاحقة، وشملت مؤلّفات وأسماء كاتبات، على عناصر مشتركة تربطها بالتراكم المعرفي في تاريخ النساء الذي أُنتج خلال السبعينيات. وفي بداية العقد الموالي، طرحت الندوة المنعقدة في مدينة سان-ماكسمين Saint-Maximin السؤال التالي: "هل من الممكن إنجاز تاريخ للنساء؟"[22]. وقد أتاح هذا السؤال، بما أثاره من نقاشات وما أحاط به من رهانات فكرية، الربطَ بين تاريخ النساء المعاصرات والتاريخ المكتوب في الأزمنة السابقة، ولا سيما ما كتبته النساء الأديبات. ومهما اختلفت الفترة المدروسة، فإن محفزات الكتابة تبدو متقاربة، وفي مقدمتها "التعريف والتقديم". ويتجلى جوهر الاهتمام بالحقل التاريخي لدى مؤرخات النساء، حين قراءة المقدمات والتوطئات والتقديمات، كما في مجمل النصوص، في بعدين متلازمين، هما: رد الفعل والاجتهاد. فالأول يتصل برد الفعل إزاء التمثّل الراسخ بقوة التاريخ لطبيعة جنسهن، وأما الثاني فيتجسد في الاجتهاد الرامي إلى تجاوز غياب التمثّلات الإيجابية، بما يفسر الجهد المبذول لإبراز أدوار النساء في مجالَي السلطة والمعرفة، وهما من أكثر المجالات حساسية في هذه الكتابات.

وتدل عمليات تفكيك جملة من مظاهر التوتر المحيطة بالحقل التاريخي على أنه يسهم، من خلال التمثّلات التي ينتجها، في تكريس فكرة وجود "اختلاف طبيعي" وتثبيته بين البشر تبعًا للانتماء الجنسي. وتكشف هذه المؤلّفات عن العلاقة المعقدة بين الحقل التاريخي بوصفه مجالًا للتمثلات من جهة، والفضاء الاجتماعي من جهة أخرى؛ فهو لا يكتفي بتسجيل الواقع الاجتماعي، بل يسهم أيضًا في بنائه عبر ترسيخ الأحكام، أو بالأحرى مأسستها على نحو ما[23]. ومن أبرز مظاهر هذا التوتر ما يتصل بالمجال السياسي، حيث ترسّخ الاعتقاد بأن الشأن السياسي حكر على الجماعة الذكورية، في مقابل تصوير الجماعة النسائية بوصفها غريبة عنه. ومن ثم، دفعت ردود الفعل النسائية في اتجاه البحث عن أسباب الإقصاء داخل الخطاب الذكوري الذي تأسست بموازاته فكرة التميز من الجنس الآخر والتفوق الذكوري[24].

وإذا كانت هذه المؤلّفات تكشف عن مظاهر التوتر الملازمة للكتابة التاريخية ذات الصلة بقضايا الجنس والنوع والتمثّلات المرتبطة بهما، فلأن هذه التمثّلات كانت تُقدَّم في صورة "القاعدة المسلّم بها"، أو "حتميات محسوم في أمرها"[25]. ويبرز ذلك في ما أوردته غابرييل دوبلانسي Gabrielle de Plancy في تصديرها للكتاب السنوي الجامع *Almanachs* في نسختَي 1820 و1823، حيث أوضحت نهجها القائم على الرغبة في تقديم تمثّلات تشيد بامتلاك النساء قدرات وكفاءات مماثلة للذكور في جميع الميادين، في مقابل ما يقدَّم من تمثلات ذكورية، فكتبت: "لقد نُشرت 'حياة القديسين' Vie des saints و'أخبار الخالدين' Ephémérides des Braves، و'الجرد السنوي لكبار الشخصيات' L'annuaire des grands hommes، ولم تُنشر أعمال مماثلة عن النساء. والحق أن هذا الفراغ هو ما أصبو إلى ملئه، حيث أردت أن أقدم إلى الفرنسيين امرأة شهيرة كل يوم، لتكون محفزًا وقدوة [...] وقد رتبت الحيز الخاص للتعريف على نحو يسمح بذكر العديد من الأمور والقضايا في إطار ضيق. إن القراء الراغبين في تصفح الكتاب لا بد من أن يخلُصوا إلى أن عدد النساء الشهيرات أكبر مما يُعتقد، وأنهن برعن في جميع المهن [...]"[26].

22 M. Perrot (dir.), *Une histoire des femmes est-elle possible?* (Marseille: Rivages, 1984).

23 يقترح روجيه شارتييه الاهتمام "بمظاهر الصراع التي تجعل رهانها إعادة تنظيم وهيكلة البنية الاجتماعية في حد ذاتها": Chartier, p. 79.

24 إلى حد يومنا، وفي إطار بحث قيد الإنجاز حول الكتابات الذكورية التي اهتم أصحابها بتاريخ الجنس المقابل (تستثني التراجم)، ضبطنا أكثر من 200 مؤلف نُشر بين عقدي 1770 و1930. والمثير أنه لا وجود لإنتاج قامت به نساء لدراسة ما له صلة بالرجال.

25 I. Ernot, "Masculin/ féminin dans les dictionnaires et recueils de biographies féminines (début XIXe siècle-années 1860)," in: N. Pelligrin, (dir.), *Histoires d'historiennes* (Saint-Étienne: Presses de l'Université de Saint-Étienne, 2006), pp. 67-84.

26 de Plancy, *Avertissement*, V-VI, 1820.

وتختتم المؤلفة كتابها بالتأكيد أن: "على النساء أن يستخلصن منه العبرة بأنهن قادرات على التحلي بجميع الفضائل، والتميز من خلال توظيف جميع المواهب ما دمن يجدن في هذا الكتاب قدوة في جميع التجليات، وأن الجنس الآخر لم يأت بفضل إلا ووُجد له مماثل لدى بعض النساء"[27].

وتحضر فكرة التنافس كذلك في كتابات دوقة دابرانتيس Duchesse d'Abrantis، التي نددت بالمبالغة في التعريف بالرجال على حساب النساء. وافتتحت كتابها بما يشبه البيان الدعائي: "ولكن الرجال يشغلون وحدهم تقريبًا جميع قوائم التراجم، في حين لا نجد، إلا في حالات نادرة، بعض النساء الشهيرات اللواتي استرعين الانتباه. ويبدو أن النساء قد حُكم عليهن بالنسيان بفعل الصمت الظالم الذي يمارسه الكُتاب. ومع ذلك، فثمة أمثلة رائعة للكفاءات والرفعة الأخلاقية التي جادت بها النساء في جميع البلدان والعصور"[28].

وفي السياق ذاته، شغلت عملية الاستدلال وإقامة البرهان حيزًا مهمًا في تقديم كتابات جوزيفين أموري دولانغاراك Joséphine Amory de Langarack (1826-1893). فبعد نحو ثلاثين سنة من صدور كتاب دوبلانسي، أثارت دولانغاراك مسألة كفاءات النساء وقدراتهن على التفاعل إيجابيًا في جميع الميادين والأنشطة، فكتبت: "من الضروري، وبغية الإحاطة بالموضوع الذي نسعى إلى مقاربته عن قرب، أن نحيل إلى بعض الأبحاث التاريخية والمفيدة عن الحالة الجسدية والعقلية للنساء عند جميع الشعوب وعبر جميع العصور، ونستخلص منها فحوى طبائعهن واستحقاقاتهن وقدراتهن وتأثيرهن. ولا يتعلق الأمر بالتبجيل والإطراء، وإنما بتقليب التاريخ لإقامة البينة، من خلال هذه الشهادة الدامغة، على فضائلهن العديدة وقدراتهن الفكرية والجسدية، وأن نُبرهن على حضورهن في كل الأماكن وجميع مظاهر الحياة بمختلف الفئات العمرية، وعلى كثافة أنشطتهن في الآداب والعلوم والفنون والصناعات المتنوعة، والحياة الفكرية والوظيفية والسياسية والعلمية والخاصة، وأن نُثمّن ما هن قادرات على فعله، وإلى أيّ حد يمكن أن ترتقي بهن الحكومات والقوانين والعادات والظروف، وأن نقيم ما هن عليه، وما كن عليه، وما في وسعهن أن يكن عليه. إن الوقائع كفيلة بأن تكون أحسن نصير لهن"[29].

يبدو أن جوهر المشكل يتمثل في فكرة "الاختلاف بين الجنسين"، وما ترتّب عليها من تراتبية. فقد اختُزل الرهان في ثنائية "الهوية - المساواة"؛ ذلك أنه حين تطالب جميع الكاتبات بالمساواة السياسية، فإنه في المقابل لم تكن أي واحدة منهن لتقبل بالتنكر للهوية على أساس الجنس، ما يفسّر إعطاء الأولوية للفكر والتفكر العقلاني. وبناء عليه، وخلال زمن "الإمبراطورية الأولى" Premier Empire (1811)، سعت مدام دوجانليس Madame de Genlis (1746-1830) إلى الرد على ما بدا مشروعًا يروم التقعيد لدونية النساء، أو ما عُرف بـ "الرجل المفكر" L'intellect، القائم على المقارنة الكمية بين الجنسين في الإنتاج الأدبي: "رجل الآداب أكثر تفوقًا على النساء، ومن الصعب بالتأكيد عدم الإقرار أو حتى التشكيك في هذا المعطى؛ ذلك أن مؤلّفات النساء مجتمعة لا تساوي بعض صفحات من تأليف بوسييه Bossuet وباسكال Pascal، ولا بضعة المشاهد من حبكات كورناي Corneille أو راسين Racine أو موليير [...] ومع ذلك لا يستوجب أن نستنتج من هذا أن النساء أدنى من الرجال [...] إذ يُستدل على دونيتهن بترديد مقولة إنه لم تجُد قريحة أي منهن بمسرحية راقية ولا بشعر ملحمي"[30].

والواقع أن المقارنة بين الجنسين في الماضي، وهي على كل حال في غير صالح النساء، بدت كأنها استراتيجية ذكورية أدت إلى إقامة تمييز وتراتبية بين الجنسين. فقد بيّنت هورتونس ألار دوميريتين Hortense Allart de Meritens (1806-1861)، في مؤلّفها

27 Ibid., p. 260.

28 Abrantès, *Prospectus*, 1, 1834.

29 Amory de Langerak, 1849, 186-187.

30 Genlis, 1811, III-IV.

التركيبي الفلسفي والتاريخي، أن النساء زمنها يعانين تبعات عبءٍ ثقيل قائم على أساس أسانيد من الماضي، ما يستوجب، بحسبها، الرد بقصد التوضيح: "نقرّ بما يروَّج له: ثمة فعلًا في الماضي، ومن الناحية التاريخية، ما يؤكد دونية المرأة، من سهولة قبولها بالأحكام المسبقة، واتسامها بفضائل ساذجة مدة طويلة، وهي أمور استُغلت ضد مصلحتها. والحال أن كل الأمم كرّست في حقها مبدأً أخرق عبر قرون متعاقبة. ثم إن النهج اللئيم والمراوغ الذي بواسطته زحزحت المرأة العبء على عاتقها بالتلاعب بأحاسيس الرجل سيدها، وقلة الحيلة والكرامة اللتين أبدتهما لتحسين ظروف عيشها، لا بد من أن تعاتب عليها وعن حق. فلم يبدع جنس النساء ما يضاهي جنس الرجال، بما يجعلهما متساوين. وإن أظهرت بعض المبادرات البطولية قيمتهن الحقيقية، وإن أمسكن برموز السلطة بأيدٍ ناعمة، وإن اخترقت صرخات الألم القرون، فإن أيًا منهن لم تحظ بما حظي به الرواد التاريخيون أو مشاهير رجال الآداب من تقدير. وحتى بين الملكات، لم تقارَن واحدة بالإسكندر المقدوني. وفي عالم الفكر، لم يخلد اسم امرأة. ثم إن أجسادهن ورقّة عودهن وضعف البنية لم تسمح لهن بتحقيق الرغبة الجامحة في العمل والطموح. فهل يا ترى أعاق وضعهن الدوني التطور الكامل لقواهن؟ وما الذي يمنع من مقارنة سيميراميس Sémiramis بأعظم الرجال في التاريخ من حيث العبقرية والتفوق في فنون الحرب؟".

ومهما يكن، فإنه على الرغم من الأمومة التي غالبًا ما تُتخذ حجة في مواجهتها، فإن عمل المرأة هو ما يجعل حضورها أكثر وضوحًا. فمع أن القليل من كتابات النساء يستحق الإعجاب، فإنهن، بوصفهن ملكات ومحاربات وزعيمات سياسية، خلّفن نماذج رائعة. ومن ثم، فإن الأمم التي أتاحت للنساء اعتلاء العرش وجدت فيهن أرقى المؤهلات لأرفع الوظائف، كما أن البلدان التي سمحت لهن بحمل السلاح وجدت فيهن مقاتلات ماهرات ومقاومات شرسات. وتعدّ إيطاليا المثال الأبرز على ذلك؛ إذ تألقت فيها النساء في ميادين مختلفة، وأثبتن استعدادًا للعمل حيث يلزم الجمال في الروح والجسد، وكذلك الفكر المؤسس له من طرف كثير من الرجال طوال مسار سمته الرئيسة الاستقرار في المكان؟"[31].

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استمرت قائمة الطروحات المعارضة لفكرة الاختلاف والتراتبية بين الجنسين. وفي هذا الإطار، اجتهدت جوزيفين دو مارشيف-جيرار Joséphine de Marchef-Girad في البحث عن حل، فكتبت: "ألا يمكن الجزم بأن الإنسانية تتشكل من قوتين متوحدتين من حيث المبادئ، ومتساويتين من حيث الغايات، ومختلفتين من حيث المظاهر والممارسات. والمرأة، بهذا المعنى، تمثّل إحدى هاتين القوتين. وقد يبدو هذا التعريف، أو بالأحرى التفسير، أول وهلة، جريئًا، لأنه يضع المرأة في مرتبة متساوية تمامًا مع الرجل، من دون اعتبار لتقلبات الحياة. وكم من الناس سيرون في مثل هذا الرأي مفارقة شاذة أو هرطقة"[32].

وبحثت أولمب أودوارد Olympe Audouard (1830-1890)، سنة 1873، وعلى غرار معاصراتها، في التاريخ المسيحي عما يؤسس لهوية الجنسين، فكتبت: "كما التزمت منذ بداية هذا الكتاب، فقد اخترت، عن تحيز، دراسة تعامل المرأة من موقع دوني مع الرجل، وإذا ما كانت أدنى منه حقًا. وقد جعلني وضعها خلال الفترة الوثنية القديمة مترددة في الحكم على قيمة الأنوثة، وفي مناسبات عديدة ظننت أنني سأكون مرغمة على الإقرار بدونيتها، ولكن المسيحية في العديد من التفسيرات المقدسة زودتني بالحجة الدامغة على المساواة الكاملة بين الروح النسوية والروح الذكورية. وبما أن شكل المرأة الظاهر لا يمكن أن يؤسّس لأيّ دونية، بل إنها جميلة عن حق، ولأن الجمال لا يمكن بأيّ حال أن يكون أدنى من القبح، فإنه يجب اعتبار المرأة مساوية للرجل والتعامل معها على هذا الأساس. وهو إقرار صريح وصحيح. هذا على الأقل رأيي المتواضع. وإذا لم أنجح في إقناعكم سادتي القراء، فثقوا بي أن المحامي وحده المسؤول عن سوء المرافعة، أما القضية في حد ذاتها فهي رفيعة"[33].

31 Allart de Méritens, *Histoire de la République de Florence* (Paris: Moutardier, 1837), pp. 10-11.

32 Marchef-Girard, 1860, p. 156.

33 Audouard, 1873, p. 331.

وفي سياق موازٍ، تذكر اهتمامات جين شوفان Jeanne Chauvin (1866-1926) في أطروحتها لنيل الدكتوراه في القانون، بما كانت قد طرحته جوزيفين دو مارشيف-جيرار قبل ثلاثين عامًا فتقول: "إن المرأة كائن إنسان، فردانيتها قائمة بذاتها مستقلة ومسؤولة. ثم إنه من وجهة نظر فلسفية وذات صلة بعلم النفس، لا يمكن رفض المساواة بين الرجل والمرأة، بل إن المرغوب فيه أكثر طموحًا وهو 'المعادلة'. ولا يوجد في المطلق شخص شبيه بآخر، وكما أنه ليست المرأة كالرجل، فإن الرجل غير الرجل، ولكن إن ثبت ميتافيزيقيًا عدم التطابق، فثمة فلسفيًا مساواة من حيث وحدة الجنس البشري"[34].

وفي خضم الردود على فكرة الاختلاف بين الجنسين، تمثّل كلاريس بادير Clarisse Bader (1840-1902) حالة استثنائية، لأنها كانت من القلائل اللواتي قبلن بالفكرة سنة 1883، فتقول: "انطلاقًا من مبدأ اعتبار الجنسين متساويين من الناحية الأخلاقية، بل حتى الجسدية، فإن دعاة تحرير المرأة يطالبون بمنحها حقوقًا متكافئة، لا تقتصر على المساواة في الحقوق المدنية فحسب، بل تمتد أيضًا إلى المساواة في الحقوق السياسية، وإتاحة الولوج إلى جميع الوظائف العمومية. غير أنني أُقِرّ، بكل تحفّظ، بأنني لا أعتقد بوجود تطابق تام بين الرجل والمرأة في ما يُسمى بالحقوق الطبيعية. فالمرأة تضطلع بواجبات خاصة لا يقوم بها الرجل، كما أن لها، تبعًا لذلك، حقوقًا متميزة. أما في ما يتعلق بقدراتها، فأرى أنني قد أوضحتُ بما فيه الكفاية أنها لا تبلغ المستوى نفسه الذي تبلغه في مجال الفضائل الأخلاقية. وبالرجوع إلى تاريخ بلدنا، كما هو الشأن في وقائع العصور القديمة، يتبين أن مشاركة المرأة في الحياة السياسية لدى بعض الشعوب كانت، في الغالب، ذات نتائج كارثية"[35].

ويبدو جليًا أن صاحبة هذا الرأي تقبل بسيرة السياسيين القاضية بالتمييز بين الجنسين، ولكنها مع ذلك ترفض فكرة أن النساء مختلفات من حيث الفكر العقلاني. وفي هذا الإطار تحديدًا، وضعت روز ريغو Rose Rigaud حدًا للجدل الغالب في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، بصياغتها لأطروحة خصّتها لشخصية كريستين دوبيزان Christine de Pizan سنة 1911، فكتبت: "وحدها في مواجهة المجتمع برمته، تحدّت كريستين نفسها [...] لقد انتفضت مستنكرة ما عابوه بوقاحة على المرأة من دونية صنعوها هم أنفسهم، وما كانوا يستفيدون منها، وانبرت تقاوم من أجل رد الاعتبار إلى جنسها بكتاباتها ومسارها الشخصي".

وقد ظل الاهتمام بالتراتبيات يحتل مكانة مركزية في أعمال هذه المؤرخة التي أقرت بقدم هذه المسألة تاريخيًا. والواقع أنه خلال الفترة بين الحربين العالميتين، اكتسبت الفكرة النسوية مكانًا داخل الحقل التاريخي، كما عمدت الكاتبات إلى بناء تاريخ مميز. ويتوافق ظهور هذا التاريخ مع ردود الفعل السابقة المؤصل لها لمواجهة فكرة الاختلاف الشامل القائم على قاعدة الجنس، وضد فكرة الدونية الطبيعية للنساء.

والحق أن بناء فكرة الاختلاف، استنادًا إلى قراءات تفصل بين الجنسين وتتعامل مع كل منهما على حدة، يفسر مكامن التوتر المحيطة بالحقل التاريخي، حتى بالنسبة إلى النساء اللواتي تلقين تربية محافظة.

وإجمالًا، أنتجت الكاتبات انطباعات إيجابية عن الشخصيات النسائية عبر التاريخ، وكانت لهن بالضرورة ردود فعلٍ ضد الانطباعات السلبية المروَّج لها في الثقافة الشعبية كما في الأوساط العالمة. وقد تحقق ذلك من خلال التركيز على تمثّلات النسوية وتنوعها، ما أفضى إلى تثمين نماذج تقتدي بها النساء المعاصرات.

34 Chauvin, 1892, p. 149.

35 Bader, 1883, pp. 453-454.

وتُبرز مكامن التوتر هذه وجود ارتباطات بين الكاتبات، وكذلك بين مؤلَّفاتهن؛ إذ تسمح الخصائص المشتركة بتحديد ملامح خطاب خاص بتاريخ للنساء يتسم بالاختزال وبلاغة اللغة وجودة الديباجة. وعلى الرغم من أن هذا الإنتاج لم يكن يُنظر إليه، في فترات سابقة، على أنه ذو قيمة علمية تُذكر، فإنه يمكن اعتباره لاحقًا بمنزلة النواة الأولى لما سيتطور، ابتداءً من سبعينيات القرن العشرين، في إطار مؤسساتي واضح. ويمكن الإقرار أيضًا بأن جذور هذا التوجه قديمة تعود إلى نهاية القرون الوسطى، بالنظر إلى العناصر المشتركة بين **حاضرة النساء** *La cité des dames*، من تأليف كريستين بيزان (1405)، والعديد من المؤلفات في الأزمنة الحديثة، من قبيل ما كتبته جاكيت غيوم Jacquette Guillaume، ومارغريت بيفيه Margueritte Buffet، ومدام غالين Madame Galien. ونلمس في مؤلَّف الأخيرة الرغبة نفسها في تثمين النساء ضمن إطار يقوم ضمنيًا على المقارنة مع الجنس الآخر[36]. وفي هذا الإطار، تبلورت ملامح تاريخ فكري يمتد في الزمن الطويل، ويتجاوز حدود الأزمنة التاريخية والاختصاصات المعترف بها.

ثانيًا: مؤرِّخات النساء: بين الأديبات والهاويات وصاحبات التكوين الأكاديمي

كشف المبحث الأول من هذه الدراسة عن وجود مئات المؤلَّفات ذات الطابع التاريخي (تمتد على بضعة آلاف من الصفحات)، وأبرزت رهانات التمثّلات المرتبطة بكتابة تاريخ النساء. ويستدعي ذلك في مرحلة لاحقة الكشف عن الكاتبات من زوايا مختلفة، من قبيل الأسئلة التالية: ما الذي نعرفه عنهن؟ وهل يمكن الحديث عن "مؤرخات"؟ وما صفات الكاتبات؟ وعند الخوض في ما هو مشترك وما يندرج ضمن التنوع، يصبح من اللازم ربط أسماء الكاتبات بإنتاجهن، والتفكير في الكتابة التاريخية ذاتها، بوصفها كتابة للماضي تُنجز في الحاضر.

1. ملامح الجماعة: محاولة أولى للرسم السوسيولوجي

من اليسير نسبيًا إجراء مسح سوسيولوجي لجماعة مثقّفة عندما تكتسب تميزًا وحضورًا. ففضلًا عن الأصول الاجتماعية، تبرز عناصر أخرى من قبيل التكوين الذي تلقته الجماعة، وما مارسته من أنشطة ومهن ووظائف، وهي كلها معطيات تندرج ضمن ما يُعلَن عنه ويُعرَف به أفرادها؛ أي باختصار حضورهم داخل المشهد العام. ولا يقتصر هذا الشرط على الجماعة بوصفها كتلة، بل يتجاوز ذلك عند تجميع الأسماء والمساهمات لاحقًا وفقًا لاعتبارات تركّز على نصوص موضوعها هو تاريخ النساء.

فعلى الرغم من تنوّع الشخصيات واختلاف مساراتها، وهو تنوع يزداد اتساعًا مع امتداد زمن الدراسة، فثمة عناصر مشتركة تفرض نفسها. وعمليًا، يعدّ الانتماء الاجتماعي والأصول والمسار الشخصي لكل واحدة منهن من العوامل الأساسية التي تسمح بتسليط الضوء على كتابتهن، إلى جانب التكوين الفكري، والمسار التعليمي بالنسبة إلى بعضهن والعلاقات العائلية والأسرية، ثم مجالات النشاط الفكري التي وسمت مساراتهن الفردية. وخلال المرحلة الأولى من الفترة المدروسة، غلب الطابع الأرستقراطي على الأصول الاجتماعية، قبل أن يتراجع تدريجيًا، وعلى امتداد الفترة، نحو انتماء برجوازي. وفي نهاية الفترة، بدت حالة جين بوفييه Jeanne Bouvier (1865-1964) شاذة واستثنائية، بالنظر إلى أصولها الاجتماعية المتواضعة. وعلى النقيض من ذلك، ارتبطت بعض الكاتبات بعلاقات وثيقة بأوساط النخبة، بما يكشف عن تداخل بين المجالين السياسي والفكري، إلى جانب الصلات بعالم الفنون.

وإجمالًا، فإن عدد المنتميات إلى عائلات متعلمة مرتفع، وغالبيتهن من أوساط حضرية، ولا سيما من باريس. ونذكر من بينهن لور دابرانتيس Laure d'Abrantis (1784-1838)، زوجة أحد كبار شخصيات نظام الإمبراطورية L'Empire؛ وهنرييت دوفيت-كيزو Henriette de Witt-Guizot (1828-1908)، بنت المؤرخ ورجل الدولة فرنسوا كيزو François Guizot؛ ومادلين كليمونصو-جاكمير

36 Zemon; Ouvrages d'histoire des femmes de l'époque moderne: Buffet, 1668; Galien, 1736.

Madeleine Clemenceau-Jacquemaire (1870-1949)، بنت جورج كليمونصو؛ وإميلي سيارد Amélie Suard (1743-1830)، زوجة الأكاديمي باتيست سيارد Baptiste Suard، وتنتمي إلى عائلات مالكة لدار النشر باكوك Panckouke؛ وأرتونس آلارت ديمريتينس، إحدى صديقات شاتوبريان Chateaubriand؛ وأديلايد ديفرنوا Adelaïde Dufrénoy (1765-1852)، المقربة من لويس-مارسولان دوفنتان Louis-Marcelin de Fontanes؛ وجوديث كلاديل Judith Cladel (1873-1958)، ابنة الكاتب ليون كلاديل Léon Cladel وصديقة النحات رودان Rodin.

أما المعلومات المتعلقة بالتكوين الفكري والأنشطة المهنية للأشخاص، فتبقى في الغالب محدودة جدًا، وأحيانًا من الصعب تطعيمها بما يفيد. ومن المعروف أن غالبية هؤلاء النساء امتهنّ أنشطة ووظائف، ولم تكن الكتابة وحدها وسيلة كافية لضمان العيش. ومن ناحية الاستقلالية المالية، فالمعروف أنه خلال القرن التاسع عشر وجد بعضهن صعوبات حقيقية، ذُكرت في ملفات طلب العون المقدّمة إلى السلطات العمومية[37]. ومن بين الأنشطة المهنية، يعدّ التعليم في مقدمتها؛ ذلك أن عددًا لا يستهان به من المؤرخات، موضوع الدرس، كن مدرسات ومديرات مؤسسات تعليمية أو داخليات[38]. وخلال النصف الثاني من القرن ذاته، ارتفع الطلب على المهن المتخصصة التي تتطلب الحصول على شهادات، فاستفادت منه ذوات الأصول البرجوازية. ومن بينهن جين شوفان السالفة الذكر، التي تابعت تعليمها في القانون وامتهنت المحاماة. وبعضهن ساهمن في إصدار مجلات متميزات، من بينهن أرفيد بارين Arvède Barine (1840-1908)، وهي ناقدة أدبية تعاملت مع العديد من المجلات، لا سيما مع مجلة *Revue des Deux Mondes*. وفي الفترة ما بين الحربين، وبعد الحصول على الدكتوراه في الآداب، التحقت مارغريت تيبريت Margueritte Thibert (1886-1982) بالمكتب الدولي للشغل[39].

ومن بين هؤلاء النسوة، توجد شخصيات أثبتن حرّيتهن الفردية بانتهاك إكراهات اجتماعية، وأخريات بعدد أقل دافعن عن القيم التقليدية المحافظة. وتختلف حياتهن الشخصية بطبيعة الحال باختلاف مساراتهن الفردية. فبعضهن كن متزوجات أو سبق لهن الزواج، في حين قدّمت قرابة نصفهن أنفسهن عازبات، أو عشن تجارب زواج فاشلة أفضت إلى حياة أكثر استقلالية.

ولما كانت الحرية تشكّل مقصدًا أساسيًا لدى هؤلاء الكاتبات، فقد اتخذ عدد منهن السفر نشاطًا رئيسًا؛ إذ استقرت أرتونس آلارت ديمريتينس في إيطاليا، وجالت أولمب أودوارد في ربوع مصر وتركيا وأميركا الشمالية وروسيا، وقضت أديلايد سيلييز Adelaïde Cellier (1801-1890) سنوات عديدة في البرازيل. وأخيرًا، إذا كانت "النسوية"، في معناها الأصلي، تفيد العمل من أجل حرية المرأة وكرامتها، فإن هذا البُعد لم يكن غائبًا عن أيّ منهن، بل إن بعضهن عبّرن عنه بوضوح، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من خلال الانخراط في الحركات المهيكلة، منهن مارسيل تيناير Marcelle Tinayre (1861-1949)، وجين بوفييه، وسوزان غرينبرغ Suzanne Grinberg (1888-1972).

2. مؤرخات النساء: المقاربة الكمية

ليس المقصود، بطبيعة الحال، إدماج كاتبات لا تتوافر فيهن الشروط المطلوبة داخل المؤسسات العلمية أو المجاميع الأكاديمية، وإنما التفكير في الوضع التاريخي لمؤلّفات أُنتجت بأعداد لا يستهان بها على هامش تلك المؤسسات. فصفة "المؤرخات" المفترضة في هذا المقام تندرج في إطار حقل تاريخ النساء، وتُعتمد في ارتباطها بمسار معرفي يهدف إلى توضيح التمثّلات التاريخية وإبراز آليات بنائها.

37 Archives Nationales, Série F 17, Indemnités et secours littéraires (1838-1892); Correspondances et Renseignements Généraux (1831-1879).

38 R. Rogers, *From the Salon to the Schoolroom. Educating Bourgeois Girls in Nineteenth Century France* (University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 2005).

39 Biographie à paraître, par Françoise Thebaud.

لقد كن من أوائل من اجتهدن بحماس داخل الحقل التاريخي، سعيًا إلى الإقرار بما يستحقه جنسهن من اهتمام واعتراف. غير أن هذه الصفة لا تستند إلى المعايير المعتمدة في المؤسسات الجامعية، بل تنبع من شدة الحاجة إلى مقاربة "المرأة/ النساء" بأدوات ومفاهيم تاريخية، بصرف النظر عمّا أفردته كل واحدة طوال مسارها من تاريخ الجنسين. ويندرج 37 في المئة مما كتب في الفترة 1914-1940 ضمن تراكم البحث التاريخي، وما يتطلبه من تعميق فكري وانضباط في الكتابة.

وبناء عليه، فإن الحالات متعددة ومتنوعة، علمًا أن قيمة العمل التاريخي لا تُتخذ معيارًا حاسمًا في التقييم، ولا يُعتد وحده بطبيعة المصادر المعتمدة عليها. ومن المؤكد أيضًا وجود تفاوت كمّي في إنتاج الكاتبات، سواء في مجالات التاريخ أو الأدب أو التربية، وهو ما يواكبه تنوعٌ في التعبير عن الآراء والقناعات الفلسفية والأخلاقية والاختيارات الدينية، من دون أن يكون ذلك عنصرًا محددًا في التقييم. ومهما يكن هذا التنوع، فإن هذه الأعمال تلتقي في وحدة أساسية قوامها الانتماء إلى الحقل نفسه؛ أي حقل تاريخ النساء.

وتندرج المقاربة الكمية في إطار يقوم على الاستفادة الواسعة من المادة التاريخية المنتجة. فالفترة المدروسة تتميز، بالتأكيد، بجعل التاريخ تدريجيًا مادةً يحتكرها المؤهّلون علميًا في إطار من الاحترافي، وهو ما اجتهد الباحث الفرنسي جيرارد نواريل على توضيح مراحل تطوره خلال القرنين التاسع عشر والعشرين[40]. ومع ذلك، فإن مصطلح "تاريخ" كما يُستعمل هنا، يحيل إلى أنماط كتابة أقل تأطيرًا وتحديدًا، بمزجه بين الأنماط القديمة، التي استمرت سارية المفعول بالتوازي مع إكراهات المهننة والاحترافية. ولا تمثّل المؤسسة الجامعية وحدها الحقل التاريخي، فهي في واقع الأمر تجسّد طريقةً، فحسب، لكتابة التاريخ، إلى جانب سبل أخرى لا شك في أنها لم توفَ قدرها من جراء الهيمنة التي مارستها المؤسسة على الفكر والكتابة التاريخيَين[41].

وعمليًا، يعكس تاريخ استعمال مصطلح "مؤرخة" مختلف مراحل مأسسة التاريخ بوصفه مادة علمية، ويُبرز في الآن نفسه أحد أهم ما ترتّب عليه من هيمنة جنس على آخر. فقد استُعمل هذا المصطلح في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، واستعملته أول مرة كارلا هيرس، حين تحدّثت عرضًا عن لويز كيراليو روبير Louise de Céralio Robart، ثم سنة 1818 في الحديث عن أوجينيه فوفيلييه (نحو 1775-بعد 1863)، ليختفي بعده إلى حدود العقد الثالث من القرن العشرين، حين عاد إلى الظهور على نحو محتشم في البداية قبل أن يشهد تطورًا ملحوظًا خلال عقد الخمسينيات من القرن نفسه[42].

وقد تزامن هذا الغياب الطويل الأمد مع المرحلة التي ترسّخت خلالها أسس المؤسسة التاريخية وتبلورت قواعدها. وفي المقابل، ارتبطت عودة استعمال المصطلح من جديد بالتحولات الكبرى السيوسيوثقافية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وبالتغييرات التي عرفتها المؤسسة التاريخية نفسها. وإجرائيًا، يُطرح إشكال مدى قدرة التخصص التاريخي على تفسير نمط آخر من الكتابة، يغلب عليه الطابع غير الاحترافي، على غرار هذه الصيغة الأولى من تاريخ النساء. وقد استُخدم معيار التأهيل العلمي في هذه الحالة تحديدًا لفرض الضوابط المؤسساتية والمهنية، لأنها تسمح بتأطير ثلاث مجموعات مختلفة ومعرفتها وتحديدها (الأدبيات والهاويات والحاصلات على شهادات أكاديمية)، وتتكون كل جماعة لوحدها ومجتمعة من فاعلات جعلن همّهن تثمين وجود تاريخ النساء.

وإحصائيًا، تمثّل النساء الأدبيات الجماعة الأكثر أهمية[43]، أما الهاويات والكاتبات ممن قدّمن أطروحات دكتوراه وناقشنها، أو حصلن على شهادات نهاية التعليم (مثلًا مدرسة شارت L'Ecole de Chartes)، فلم يبرزن على الساحة إلا خلال النصف الثاني من

40 Noiriel.

41 Delacroix.

42 C. Hesse, *The Other Enlightenment. How French Women became Modern* (Princeton: Princeton University Press, 2001); Clio, Histoire, Femmes et Sociétés, 2001, p. 13; *Journal Général de la littérature de France* (Paris, Chez Treuttel & Würtz, 1818, p. 345).

43 C. Plante, *La petite sœur de Balzac* (Paris: Seuil, 1989).

القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[44]. وتتأسس أهمية الأديبات في العلاقة مع غياب مسارات تعليمية وتخصيص شهادات للنساء خلال مدة طويلة من الفترة المشار إليها. غير أن غياب الشهادات لم يكن يعني غياب الكفاءات في الكتابة والإنتاج؛ ذلك أن صفات مشتركة تبدو واضحة داخل مجموعة النساء الأديبات تؤهلهن لامتهان "الممارسة المهنية الاحترافية"، وهي صفة لا تنحصر بطبيعة الحال في الحاصلات على الشهادات، ولكن يمكن أن تطلق على بعض الأديبات.

وقد اقترحت بونيه سميث Bonnie Smith صفة "الهاويات" للإشارة إلى هؤلاء الكاتبات، استنادًا إلى أن "الممارسة المهنية الاحترافية" تميّز داخل هذا الحقل بين فئة "الهاويات"؛ أي اللواتي اجتهدن بجدّية في استثمار مصادر غميسة وأصيلة، وأخريات اعتمدن في كتابتهن على مؤلّفات من إنجاز غيرهن. وعلى أساس معطيات متنوعة، أمكن التمييز بين ثلاث جماعات محددة المعالم، هي: الحاصلات على شهادات، والهاويات، والنساء الأديبات. وإجمالًا، يدفع مجموع الكاتبات في اتجاه طرح السؤال عن صفة "المثقفات" من منظور الجندر[45].

3. من النساء الأديبات إلى الحاملات للشهادات: التنوع في الشخصية والممارسات

أ. النساء الأديبات

اتسمت اهتمامات غالبية هؤلاء النساء وتوجهاتهن الكتابية بالتنوع؛ فإلى جانب مؤلّفة أو عدة مؤلّفات في تاريخ النساء، وهو من صميم البحث التاريخي، كتبت بعضهن في مواضيع فلسفية، وأخريات أصدرن روايات، وأوصاف رحلات وسفريات، وكتابات في تربية الفتيات اليافعات. وقد شكّلت الكتابة بالنسبة إلى بعضهن وسيلة لكسب العيش، ولأكثرهن الأمل في الحصول على مصدر مالي إضافي، ومعظمهن خاب أملهن. وإجمالًا، ارتكز بنيان الخطاب التاريخي الذي أنتجنه إلى استثمار المادة المطبوعة لنشر الأفكار. وربما يعود ذلك، بلا شك، إلى الصعوبات التي واجهتها بعضهن في الوصول إلى المصادر الأصلية، خاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث كانت هذه المصادر نادرًا ما تنشر. وإن جرى الإقرار بأن مناهج العمل لم تبلغ دائمًا مستوى عاليًا من المهنية والاحترافية، فإن الخطاب التاريخي المنتَج ظل بعيدًا عن النزعة التخييلية واستحضار البطولات المفترضة ذات الطابع الروائي.

وقد عرفت الفترة المدروسة حقًا مجموعة من النساء الأديبات، لكن مساراتهن وطبيعة شخصياتهن اختلفت بطبيعة الحال مع مرور الزمن؛ ذلك أنه ظهرت تفرعات عديدة داخل الفرع الأصل، ولكن القاسم المشترك في ما أُنتج، سواء في الحقل التاريخي أو السرد المتخيل، ظل في الغالب هو موضوع "النساء".

وتشترك كثيرات منهن في الاهتمام بتربية الفتيات اليافعات، وهو ما دفع إلى إنتاج كتب بيداغوجية، وانتهى الأمر بجلّهن إلى امتهان التعليم. ففي الفترة بين "النظام القديم" L'Ancien Régime وفترتَي ما قبل الثورة الفرنسية وبعدها، كانت أصول الأديبات أرستقراطية. وقد جمع إنتاجهن بين مؤثّرات رفيعة ومختلفة. ومن أبرزهن مدام دوجانليس، التي امتلكت كفاءات ومهارات بيداغوجية وروائية، أهّلتها لإنتاج ضخم ضم "ثمانين تأليفًا من روايات ومسرحيات وخطب"[46]. وخصصت رواياتها التاريخية لشخصيات نسائية من قبيل Mademoiselle de Clermont وLa duchesse de Vallière، وMadame Maintinon، وMademoiselle de Lafayette[47].

44 F. Mayeur, *L'enseignement secondaire des jeunes filles sous la III e République* (Paris: Presses de la FNSP, 1977).

45 N. Racine & M. Trebishb (dir.), *Intellectuelles: Du genre en histoire des intellectuelles* (Bruxelles: Éditions Complexe, 2004).

46 L. Mazenod & G. Scheller, *Dictionnaire des femmes célèbres de tous les temps et de tous les pays*, Collection Bouquins (Paris: R. Laffont, 1982), p. 346.

47 M. E. Plagnol, "Les mémoires de Madame de Genlis: Apprentissage et reconstruction de l'Histoire (1746-1830)," in: Pelligrin (dir.), pp. 177-187.

في حين عاشت مدام دورونييل دوسينيتير Madame de Renneillle de Seneterre، بخلاف سابقتها، خارج باريس، وأوضحت ما يترتب على ذلك من مشاكل، من بينها محدودية الوصول إلى المصادر. وقد اعتمدت على الوثائق في كتابة سيرة حياة بلانش قشتالة (1823)، لكنها أقرّت بأنها لجأت إلى نهج السرد الروائي عند تناولها سيرة أليانور داكيتين Eleanor d'Aquitaine في السنة نفسها، بسبب عدم توافر المادة المصدرية، وأوضحت أنها اعتمدت في أحد مؤلفاتها على كتب من مكتبتها الخاصة، وأخرى استعارتها من أصدقائها[48].

ومن الأسماء البارزة كذلك لور دابرانتيس، التي يضم إنتاجها روايتين تاريخيتين ومذكرات وتاريخًا شاملًا لصالونات باريس.

وفي السياق ذاته، نجد أديلاييد ديفرنوا وفورتينيه بريكي، وهما من أصول غير نبيلة. وقد عاشت بريكي معظم أيامها في منطقة بواتوه Poitou، وتُوفيت في سن مبكرة، وخلفت، إلى جانب القاموس الذي اشتهرت به، ديوانًا من الشعر الغنائي. أما ديفرنوا، فتزوجت من وكيل محكمة شاتليه بباريس Chatelet، وكان لها حضور لافت في الصالونات قبل الثورة الفرنسية، وداخل أوساط القصر الملكي، وهي كاتبة لنحو ثلاثين كتابًا بين عامَي 1786 و1824، من بينها ما هو موجَّه إلى تربية الفتيات، وتُرجمت لها روايات إلى الإنكليزية والإسبانية، وعُرفت أكثر بصفتها شاعرة.

وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومع أفول تراتبيات النظام القديم وتقاليده، لم يعد الانتماء إلى الأرستقراطية عاملًا حاسمًا في تشكيل هوية الكاتبات، وإن ظلّ لدى بعضهن حضورٌ لهذا الإرث من خلال احتفاظهن بألقاب تنتمي إلى الأرستقراطية القديمة. وخلال تلك الفترة، برز نجم أديلاييد سلييز Adelaïde Celliez (1801-1890)، وهي ابنة رجل تعليم وتربية، أنشأت مؤسسة تعليمية داخلية في مدينة تور Tours، حيث امتهنت التعليم سنوات، قبل أن يستقر بها المقام سنوات أخرى في البرازيل. وفي النصف الثاني من القرن نفسه، أضحت حاضرةً بقوة شخصيةُ الكاتبات الممتهنات للتعليم، من بينهن جوزيفين دو مارشيف-جيرار التي شغلت مناصب متعددة مدرسةً ومديرةً، وعملت إلى جانب إيليزا لامونييه Elisa Lamonnier (1805-1865)، وأدارت المدرسة العليا بنوييه Ecole Normale De Neuilly، وكانت من أوائل مديرات ثانوية سافنييه Collège Sévigny التي افتُتحت سنة 1880[49]. وفي سنة 1887، وهي في الستين من عمرها، عُيّنت مفتشة عامة للمدارس الابتدائية العليا Ecoles Primaires Supérieures. وسلكت أوفيميه فوتييه Aphémie Vautier (اسم زوجها غارسان Garcin) مسارًا مشابهًا؛ فقد اشتغلت مدرسةً في باريس قبل زواجها، وكتبت مؤلّفات عن تعليم الفتيات، وروايات مستوحاة من هذا الفن الأدبي والتربوي.

أما الكونتيسة أنطوانيت دروهويوسكي La Contesse Antoinette Drohojouski (1822-1893)، واسمها قبل الزواج أنطوانيت جوزيفين فرانسواز سيمون دولاتريش Antoinette Joséphine Françoise Anne comtesse Symon de Latreiche، وأصلها من منطقة لوزير Lozère، واكتسبت النبل في الاسم بعد زواجها بضابط سابق في الجيش النمساوي، وهو نفسه كاتب ومترجم، فقد نشرت بعض كتاباتها تحت أسماء مستعارة (C. D'Aulnoy, A.S. DE Doncourt)، وهي من أكثر المؤلّفات غزارة في الإنتاج؛ فقد أنجزت مؤلفات تاريخية وأخرى موجهة إلى الشبيبة[50]. وبرزت دولانغاراك مبكّرًا في عالم الكتابة؛ إذ نشرت أول مجموعة من البيوغرافيات وهي لم تتعدّ الحادية والعشرين من عمرها، ثم أتبعتها بمؤلَّف ثانٍ بعد سنتين، واعتُبرت من أوائل من كتبن في تاريخ النساء المؤطر في الزمن الطويل (1849)، وكانت أيضًا ناشطة في ميدان التربية، وأسست نشرة تُعنى بالتربية بعنوان *L'Etoile*.

48 Machéco, Introduction, VI-VII, 1820.

49 Mayeur, pp. 62, 86-88.

50 Quelques titres: Drohojowska, 1848, 1851, 1853, 1875-1877 et 1885.

وتنتمي هنرييت ديفيت-كيزو إلى جيل عشرينيات القرن التاسع عشر. وإلى جانب إنتاجها المتنوع في مجالات التاريخ والرواية وأدب الناشئة وكتابات ذات الطابع الديني، عملت مساعدة، بل مشاركة لأبيها في ما أنتجه في ميدان الفكر. ويكشف مسارها عن وجود مفارقة لافتة؛ إذ تبرز المرأة الأديبة فيه باعتبارها أكثر من مجرد هاوية في التأليف والإنتاج الفكري.

وإلى جانب هذا المسار، برز تفرع ثانٍ يخص نساء النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ويتعلق بالشحنة الأدبية الحاضرة عند العديد من الكاتبات اللواتي سبق ذكرهن، لكنه يغدو هنا السمة الغالبة بوضوح؛ إذ اهتمت كاتبات وروائيات بتاريخ النساء اهتمامًا خاصًا. والواقع أن بعضهن ينتمين إلى أسر معروفة برجالها الأدباء، من أبرزهن ييتا بلاز دوبيري Yetta Blaze de Bury (نحو 1840-1902)، وهي ابنة هنري بلاز دوبيري Henri Blaze de Bury المؤرخ والمساهم بكتاباته في مجلة *Revue des Deux Mondes*، وأمها كاتبة وأديبة من أصول بريطانية، وصاحبة كتابات عديدة عن الآداب الإنكليزية. وبرزت أيضًا، خلال العقود الأولى من القرن العشرين، ثلة من الكاتبات والروائيات اللواتي انخرطن في التيار المعروف بجائزة فيمينا Prix Femina، وأنتجن مؤلّفات في تاريخ النساء؛ ثلاث منهن ينتمين إلى أسر معروفة، هن: جوديث كلاديل، ومادلين كليمنصو-جاكمير، ومارغريت تييارد-شامبون Marguerite Teillard-Chambon (1880-1959)، وهي ابنة عمة تييارد دوشاردان Teillard de Chardin، وحاصلة على شهادة التبريز في الآداب والفلسفة (1904) ومديرة مؤسسة تعليمية.

ومن المهم التنبيه إلى أن كثيرًا من هؤلاء ناصرن الفكر، أو بالأحرى الحركة النسوية، وانخرطن في النقاش العمومي، وجعلن من الكتابة وسيلة للنضال وإقامة البينة على سداد المطالب وشرعيتها. وفرضن أنفسهن، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بوصفهن كاتبات مناضلات.

وتعد أولمب أودوارد من أوائل النسويات اللواتي ناضلن من أجل الحق في الطلاق، وعُرفت بكتاباتها وأوصافها الرحلية واهتماماتها بالروحانيات. وبعد الحرب العالمية الأولى، أبدت المنخرطات في الحركة النسوية اهتمامًا ملموسًا بالتاريخ، من بينهن هيلين بريون Helene Brion (1882-1962)، والمحامية سوزان غرينبورغ، والروائية مارسيل تيناير، والنقابية جين بوفييه، وإن كانت أعمال الأخيرة تتسم أحيانًا بنزعة هاوية. والحاصل أنهن جميعًا جمعن بين النضال والعمل الجمعوي والإنتاج الفكري، من خلال تأليف الكتب وكتابة المقالات، خاصة في الصحافة النسائية[51].

ب. الهاويات

يتعلق الأمر بنساء أديبات ذوات اهتمام بالتاريخ، وميل إلى تعميق مناهجه اعتمادًا على دراسات منهجية للوثائق الأصلية والأصيلة. وقد استثمر معظمهن مصادر سبقت دراستها، لا سيما المذكرات والمراسلات، في حين واظب بعضهن على زيارة أماكن الأرشيف. وقد ظلت هذه الجماعة حاضرة طول الفترة، لكن عددها ازداد على نحو ملموس منذ منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تتقاسم الاهتمام والمشاغل المهنية نفسها مع الجماعة السابقة. والحق أن هؤلاء "المؤرخات - الأديبات" أقرب إلى مفهوم "الهواية" كما ضبطته بونيه سميث التي استلهمنا منها التوصيف[52]. ومن بينهن إميلي سيارد، المنحدرة من عائلة الناشرين بانكوك Panckouke، وزوجة الأكاديمي جان-باتيست سيارد Jean-Baptiste Suard، وقد كانت تعتزم كتابة سيرة مدام مانتينون Madame de Maintenon، وتمكّنت فعلًا من إنجاز ذلك اعتمادًا على مراسلاتها. ومنهن أيضًا هورتونس ألار دوميريتين، التي نشرت سنة 1836 باكورة مؤلّفاتها

51 Bard.

52 Smith, *The Gender of History*, ch. 6.

حول قضية المرأة، وهو عمل يجمع بين التأمل التاريخي والفلسفي، مهّد لكتاباتها اللاحقة الأكثر شهرة، عن فلورنسا وأثينا[53]، كما نشرت دراسة عن تاريخ السلطة في الغرب المسيحي، ناقشت فيها مسألة ممارسة النساء للسلطة السياسية، وذلك في كتابها **اجتهاد في التاريخ السياسي منذ حملات الغزو البربري** *Essai sur l'histoire politique depuis les invasions barbares jusqu'en* (1848)[54]. ويعدّ عدد من هذه المؤلفات في واقع الأمر عصارة أبحاث معمقة، وهي حالة اجتهادات أوجينيه فوفلييه، وقد كتبت في وقت سابق (1811) مؤلفًا لمساعدة الأمهات في تربية بناتهن[55]، ثم أنجزت سيرتَي حياة جين ألبير Jeanne Albert وبلانش قشتالة. وقد اعتمدت في كتاباتها على مصادر غميسة، اطلعت على جزء منها مباشرة في المكتبة الوطنية الفرنسية، ونُعتت في زمنها بـ "المؤرخة". ومن هذه الفئة أيضًا هنرييت سيمون-فيينو Henriette Simon-Viennot، التي أنجزت أبحاثًا معمقة لإعداد مؤلّف عن الملكة ماري-أنطوانيت Marie-Antoinette. وانطلاقًا من أنها سليلة عائلة برجوازية مناصرة للثورة، سعت إلى إبراز جوانب من شخصية الملكة رأت أنها تعرضت لظلم المؤرخين. وتميز عملها بالاعتماد على الوثائق، وعلى نتائج تحقيق أجرته داخل أروقة قصر فرساي، استقت فيه شهادات المعاصرين للملكة.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، برزت كلاريس بادير بوصفها مؤرخة متخصصة في تاريخ النساء. وعمليًا، طرحت، وهي في سن العشرين، مشروع إنجاز مؤلّف تاريخي جامع يشمل الشخصيات من جنسها، ومن أجله بحثت عن التمويل العمومي[56]. وعلى مدى نحو عشرين سنة، نشرت خمسة مؤلّفات، أربعة منها تناولت تاريخ النساء في الأزمنة القديمة (في الهند وعند الإغريق والرومان وفلسطين القديمة). وفي سنة 1883، توّجت مشروعها بنشر مؤلّفها الشهير **المرأة الفرنسية خلال العصر الحديث** *La femme française dans les temps modernes*، الذي مثّل بحق خلاصة مشروعها. وبفضل إتقانها العديد من اللغات القديمة والحديثة، اعتمدت على مصادر أدبية خصوصًا. وبعد إنجازها مؤلّفات متنوعة المواضيع، نشرت أعمالًا أخرى أقل قيمة، منها سير حياة لشخصيات رجالية.

ومن نساء الجيل نفسه لوس هيربين Luce Herpin (1830-1914)، التي ننشر أعمالها بأسماء مستعارة (Madame d'Epinay, Hélène de Ligne, Marie Mancini, Marie-Gabrielle de Savoie). وقد اعتمدت على مصادر أصيلة وأصلية اطّلعت عليها في دور الأرشيف داخل فرنسا وخارجها. وتندرج ضمن الفئة نفسها كذلك الكونتيسة أرماييه La Comtesse Armaillé (1830-1918)، التي خلفت العديد من سير النساء، أنجزت أغلبها انطلاقًا من وثائق منشورة، من بينها المراسلات.

ومن معاصراتها كذلك أرفيد بارين، وهو اسم مستعار استعملته لويز-سيسيل فانسين Louise-Cécile Vincens، ونشرت سير شخصيات عاشت زمن الملك لويس الرابع عشر. وقد درست شخصية La Grande Mademoiselle (1901)، وعلاقاتها الشخصية مع ابن عمها من العائلة الملكية (1905)، ثم مع الوصي على العرش، ونُشر الكتاب صدر سنة 1909 بعد وفاتها بعام. والحال أن معرفتها باللغات الأجنبية سمح لها بالاطلاع على وثائق لم تُترجم بعد، لا سيما المكتوبة بالألمانية. وإلى جانب المؤلفات السابقة الذكر ومؤلّفها في النقد الأدبي، الذي استخلصت منه مقالات متنوعة نشرتها في العديد من المجلات، أنجزت دراسات أكثر تدقيقًا

53 Méritens.

54 Ibid.

55 Nouvelle méthode pour enseigner le français aux demoiselles ou le guide des mères qui dirigent elles-mêmes l'éducation de leurs filles. "منهجية جديدة لتعليم اللغة الفرنسية للآنسات أو دليل الأمهات اللواتي تشرفن هن أنفسهن على تربية بناتهن"

56 Ernot.

عن شخصيات من رجالات الأدب (ألفريد ديميسي Alfred de Musset، وبرندان ديسان بييير Bernadin de Saint-Pièrre، ونيرفال Nerval، وكوينسي Quincey).

وفي السياق ذاته، برعت مادلين سان-رونيه تالانديه Madeleine Saint-René Taillandier (1865-1958)، في نشر السير، وتنتمي الشخصيات موضوع كتاباتها إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولاهتمامها بشخصية الملك لويس الرابع عشر، فقد تطرقت إلى سير نساء من محيطه. ولأنها كانت متزوجة من دبلوماسي، فقد كتبت عن البلدان التي أقامت بها (سورية وفلسطين ولبنان والمغرب).

ج. الحاصلات على شهادات عليا

المقصود بالحاصلات على شهادات عليا جماعة النساء اللواتي أعددن أطروحات دكتوراه وناقشنها، أو رسائل تخرج في مدرسة شارت. وبحكم التكوين والمسار المؤدي إلى نيل هذه الشهادة، فإن هؤلاء الكاتبات أنتجن خطابًا يخضع لإكراهات وضوابط علمية ومنهجية دقيقة، وإن كن يُعتبرن مهنيات بدرجة أقل مقارنة بالرجال. حتى وإن تابعن المسار التعليمي نفسه واجتزن الامتحانات نفسها، فالغالب أنه لا يوظّفهن زملاؤهم الرجال، الذين ظلوا ينظرون إليهن على أنهن "غير مرغوب فيهن" وسط الفضاء الفكري، ما يفسّر محدودية حضورهن في الجامعات ومراكز البحث قبل الخمسينيات والستينيات[57]. وما من شك في أن عدم إدماجهن ضمن طواقم التدريس في الجامعة جعل إنتاجهن العلمي بعد الحصول على الدكتوراه لا يرقى إلى مستوى أعلى، بل أقل قيمة مما أنتجته الهاويات. وعند التدقيق، يمكن التمييز بين ثلاثة فروع علمية رئيسة: يضم الفرع الأول القانون وعلم الاجتماع، في حين يختص الثاني بالآداب، والثالث بالتاريخ. وتندرج نسبة معتبرة من المؤلفات المنتجة ضمن التوجه النسوي أو الدراسات النسوية.

يتكون الفرع الأول من باحثات في القانون وعالمات اجتماع. فقد قدمت جين شوفان أول أطروحة نوقشت في تاريخ النساء. وكانت متخصصة في القانون، واشتغلت بالمحاماة، وعُرفت بنضالها من أجل تمكين النساء من العمل في سلك القضاء. وكانت أطروحتها بعنوان "المهن التي يمكن النساء ممارستها وفقًا للقانونين الروماني والفرنسي: التطور التاريخي للوضع الاقتصادي للنساء داخل المجتمع"[58]. ويكشف هذا عنوانها عن انتمائها إلى حقل التاريخ؛ إذ تتبعت عبر فصولها تطور الوضع الاجتماعي للنساء وعلاقته بالنشاط المهني منذ العصور القديمة حتى تاريخ المناقشة.

وقد جرى التفكير في فكرة التطور التدريجي ومعالجتها ضمن إطار "صراع الجنسين"، وذلك من خلال ثلاثة نماذج محتملة للمجتمعات البشرية، هي: المجتمع المشاعي، والمجتمع الأبوي، والمجتمع الأمومي. ويتحدد كل واحد منها وفقًا لمبدأين متقابلين: أولهما مبدأ تقليداني يقوم على التراتبية والمحافظة والثبات في المواقع الاجتماعية، ويطبع النموذجين الأولين، وثانيهما مبدأ تقدّمي يقوم على المساواة والديمقراطية، ويطبع النموذج الثالث. وفي السياق نفسه المتصل بالبحث الأكاديمي في القانون، قدّمت الباحثة

57 أخذنا نعت "غير مرغوب فيهن" من:

C. Charle, *La République des universitaires* 1870-1940 (Paris: Seuil, 1994), pp. 217-218.

أما دافيس زيمون فتحدثت عن "رابطة الإخوة" لتوصيف مدرسة الحوليات في الفترة بين الحربين: Zemon؛ وأوضحت نيكول كادين أن من الجائز اعتبار رايموند فرفيل Raymonde Foreville، المتخصصة في الدراسات الوسيطية، من أوائل المؤرخات الجامعيات، وقد بدأت مسارها في التعليم العالي بدءًا من عام 1942:

Christian Amalvi, *Répertoire des auteurs de manuels scolaires et de livres de vulgarisation historique de langue française de 1660 à 1960* (Paris: La Boutique de l'Histoire, 2004), p. 110;

ثم إن إيدمي شاربيه، وهي من المؤرخات موضوع الدرس في هذه المقالة، كتبت أطروحة سنة 1931، وأشارت إلى وجود ست أستاذات في التعليم العالي في بداية عقد الثلاثينيات: اثنتان في العلوم بباريس (الفيزياء والكيمياء)، واثنتان في الآداب (الإنكليزية في ليون Lyon والألمانية بديجون Dijon)، وواحدة في الطب (تولوز)، وأخيرة في القانون (رين Rennes): E. Charrier, *L'évolution intellectuelle de la femme* (Paris: Éditions Albert Mechelinck, 1931), pp. 407-408.

58 A. L. Catinat, "La féminisation du barreau de Paris de 1900 à 1939," in: C. Bard et al., *Femmes et justice pénale, XIXe-XXe siècles* (Rennes: Presses Universitaires de Rennes, 2002), pp. 353-361.

فرونسواز باري Françoise Barry أطروحة بعنوان "حقوق الملكة خلال النظام الملكي الفرنسي إلى حدود سنة 1789"، وركّزت فيها على شخصية الملكة في إطار الملكية الفرنسية خلال فترة زمنية طويلة امتدت تسعة قرون؛ من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر. وتناولت بالتفصيل القدرات السياسية للملكات، جاعلةً منها محورًا أساسيًا في التحليل. وعلى الرغم من إقرار الباحثة بأن النساء لم يجسّدن السيادة قط، ولم يمارسن السلطة في معناها المطلق Le pouvoir، فإنها شددت على أن الملكات مثّلن شكلًا من أشكال السيادة، الأمر الذي يجعل حضور ملكات فرنسا، يبدو ظاهريًا حضورًا لشخصيات مجردة من السلطة، في حين أنهن مارسنها فعلًا.

وفي مرحلة لاحقة، في تموز/ يوليو 1940، بينما كانت فرنسا تعيش محنة الحرب العالمية الثانية، ناقشت جان سيريز Jane Cerez، أطروحة في علم الاجتماع القانوني بعنوان "الوضع الاجتماعي للمرأة منذ سنة 1804 إلى عصرنا الحاضر: القضية النسوية والحرب، مساهمة في علم الاجتماع القانوني". وسعت فيها إلى خلق ترابط بين القانون والسوسيولوجيا، مؤكدةً أن القانون ليس مادة جامدة غير قابلة للتغيير، بل ينبغي له أن يواكب التطور الاجتماعي. ومن الناحية الإجرائية، تناولت بالنقد قانون الأحوال الشخصية، ولا سيما البنود المحددة لوضع النساء، ويعود تاريخها إلى سنة 1804، معتبرةً أنها لم تعُد تتناسب والمجتمع الحديث. وفي تحليلها التاريخي، الذي أدرجته ضمن منظور المدى الزمني الطويل (ما بين نهاية القرن الثامن عشر والزمن الراهن)، سعت إلى إبراز الأسس التي تعطي الشرعية لإقرار إصلاح قانوني وسياسي يقوم على المساواة بين الجنسين.

أما أطروحة إيدمي شاربيه في موضوع "التطور الفكري والثقافي للمرأة" (1931)، فتتخذ منحًى سوسيولوجيًا أكثر وضوحًا؛ إذ تعرض بالتفصيل لتاريخ تربية النساء منذ العصور القديمة إلى بداية القرن العشرين، وقد أولت اهتمامًا خاصًا لوضع النساء العاملات في المهن القائمة على الكفاءة الفكرية، من قبيل الصحافة والطب والتعليم الجامعي والمحاماة.

ويضمّ الفرع الثاني مؤرخات أنجزن أطروحات في التاريخ (الدكتوراه في الآداب بحسب التصنيف الجامعي الفرنسي). ومن بينهن جين أرنو-بوتلو Jeanne Arnaud-Bouteloup، التي ناقشت في مطلع العشرينيات أطروحة بعنوان "الدور السياسي لماري أنطوانيت" (1924)، سعت فيها إلى رد الاعتبار إلى هذه الشخصية المركزية في تاريخ فرنسا. والواقع أن أول أطروحة تَصدق عليها صفة النسوية هي تلك التي تقدّمت بها روز ريغو، وخصصتها لعرض الأفكار والمبادئ النسوية لكريستين دوبيزان، وناقشتها أمام لجنة بجامعة نوشاتيل بسويسرا (1911). وفي السنتين المواليتين، نوقشت أطروحتان في علاقة وطيدة مع ثيمة النسوية، واحدة لمارغريت تيبريت، بعنوان "النسوية في الفكر الاشتراكي الفرنسي في الفترة 1830-1850" (1926)، والأخرى للباحثة لي دجيز-دين Li Dzeh-Djen، وعنوانها "الصحافة النسائية في فرنسا في الفترة 1869-1914" (1934). وقد أطّر الأطروحتين الأستاذ المشرف نفسه، وهو سيلستان بوغلي Célestin Bouglé (1870-1940)، وهو ضليع في الفلسفة، واشتغل مديرًا للمدرسة العليا للأساتذة المتخصصين Ecole Normale Supérieure.

وفي مرتبة أخيرة، يبرز الفرع الثالث الذي يضم صاحبات أطروحات في الحقل الأدبي، ومن بينهن ثلاث باحثات اشتغلن على موضوع "المرأة/ النساء"، وتعدّ أعمالهن اجتهادات في تاريخ الأدب. وبالنظر إلى أن هذه الدراسات تندرج أساسًا ضمن أدب السير، فإن إشكالية تاريخ النساء تحضر فيها بدرجة أقل، ويتعلق الأمر بماتيلد ليغل Mathilde Laigle، وماري جوزيف بينيه Marie-Josèphe Pinet، وسوزان غيجنهايم Suzanne Gugenheim.

والواقع أن الباحثتين ليغل وبينيه، على الرغم من الفاصل الزمني بينهما، ركّزتا الاهتمام على شخصية كريستين دوبيزان وإنتاجها، فعنونت الأولى أطروحتها "كتاب الفضائل الثلاث لكريستين دوبيزان"، بينما حملت أطروحة الثانية عنوانًا أقرب إلى الكتابة

البيوغرافية "كريستين دوبيزان 1367-1430: دراسة السيرة والإنتاج الأدبي" (1927). وفي ما يخص غيجنهايم، فقد قدّمت سنة 1937 أطروحة بعنوان "مدام داغولوت والفكر الأوروبي زمنها".

وإجمالًا، يمكن القول إن الأعمال الثلاثة تتجاوز إطار الموضوع الرئيس؛ إذ تتضمن، في فقرات أو فصول محدودة، إشارات إلى تاريخ النساء أو الأوضاع الاجتماعية للمرأة. أما إيديث توماس Edith Thomas (1909-1970) فلم تنجز أطروحة جامعية، بل بحثًا لنيل شهادة الأرشفة والتخصص في الكتابات القديمة من مدرسة شارت (1930)، بعنوان "علاقات لويس السادس عشر مع إقليم سافوا Savoie". غير أنه كان لا بد من انتظار نهاية الحرب العالمية الثانية حتى تنشر مؤلفات تاريخية كان موضوع "المرأة/ النساء" حاضرًا في معظمها ضمنيًا. وقد تناول بعضها شخصيات نسائية مرموقة من قبيل جان دارك Jeanne D'Arc، وبولين رولان Pauline Roland، وجورج ساند Georges Sand. في حين خصت مؤلفًا آخر للنساء خلال ثورة 1848[59].

ويظل آخر المؤلّفات الجديرة بالاعتبار، من حيث استجابته لمجمل هذه المواصفات، كتاب **الجنس الثاني**. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: بأيّ "صفة" يمكن وصف سيمون دوبوفوار Simone de Bouvoir (1908-1986)؟ فمن الممكن اعتبارها، في الآن نفسه، باحثة متخصصة وكاتبة وأديبة، غير أنها في هذا المؤلف تحديدًا تُنصّب نفسها مؤرخةً للنساء، وهو ما يتبدّى بوضوح على امتداد الكتاب، لا سيما من خلال عنونة الجزء الثاني منه بـ "التاريخ". وقد أجرت أبحاثًا مطولة في المكتبة الوطنية الفرنسية من أجل إنجاز هذا العمل، حيث سعت إلى الربط بين الأزمنة التاريخية المختلفة. ولذلك، يمكن اعتبار هذا المؤلّف، بحق، خاتمة لمرحلة "ما قبل التاريخ"، وفاتحة لتاريخ "العصور الحديثة" في هذا الحقل.

ومهما يكن، فإن الحقل التاريخي، بوصفه مجالًا صريحًا للتمثّلات، ظل رهانًا قديمًا لكلا الجنسين؛ ذلك أن الكتابات التاريخية تتيح مساءلة رهانات الكتابة ذاتها، بما قد يفضي إليه التحليل، ولا سيما حين يكون شاملًا في إطار إنجاز الأطروحات الجامعية، من فهم أدق لعلاقات الجنس والجندر في المجتمع الفرنسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولأن هذه الأعمال ذات قيمة أدبية عالية، ولأن معظمها من إنتاج نساء غير متخصصات في التاريخ، فإن ما عُد "مرحلة ما قبل التاريخ" تشكّل الماضي التأسيسي للكتابة التاريخية بأشكالها وتجلياتها ومفاهيمها ومناهجها الحالية. وهي، على أيّ حال، ليست منفصلةً عن ممارسات المؤرخين الهواة، التي عرفت ازدهارًا ملحوظًا خلال الفترة نفسها. وقد ظل الإنتاج التمهيدي في مجمله خارج كل تصنيف، ولم يؤدِّ إلى ظهور تيار فكري محدد، لأن الكاتبات نادرًا ما أشرن إلى أعمال سابقة. وفي مرحلة لاحقة، طبعت روح السبعينيات الأعمال المنجزة، فظهرت محاولات لانطلاقة جديدة، تأسيسًا على فكرة أن تاريخ النساء لم يُكتب بعد، وأن من الواجب كتابته. ويبدو أن تلك المؤلّفات سرعان ما سقطت في غياهب النسيان بُعيد صدورها، ولم تنجح في ترسيخ أيّ ذاكرة حولها. ومهما يكن، يتمثل الاتجاه الغالب في اعتبار هذه الأعمال جميعها خارجة عن حقل الكتابة التاريخية، وإدراجها ضمن الإبداع الأدبي، الأمر الذي يُبقي تاريخ النساء في دائرة التهميش وقلة الاهتمام. وفي المقابل، فإن الاعتراف بهذه المؤلّفات وصاحباتها بوصفهن جزءًا من الحقل التاريخي من شأنه أن يعيد الاعتبار إليهن، وأن يحول دون ذوبان أعمالهن في التراكم الأدبي، وهو مجال بطبيعته فضفاض ومفتوح على التوسع.

59 E. Thomas, *Pauline Roland. Socialisme et féminisme au XIXe siècle*, Collection Bibliothèque d'Histoire Économique et Sociale (Paris: M. Rivière, 1956); E. Thomas, *Les Pétroleuses*, Collection La Suite des Temps (Paris: Gallimard, 1963); E. Thomas, *Jeanne d'Arc* (Paris: Éditions "Hier et Aujourd'hui," 1947); E. Thomas, *Les femmes de 1848*, Collection Le Centenaire de la Révolution de 1848 (Paris: Presses Universitaires de France, 1948); E. Thomas, *Georges Sand*, Collection Classiques du XIXe siècle (Paris: Éditions Universitaires, 1959); E. Thomas, *Les Pétroleuses*, Collection La Suite des Temps (Paris: Gallimard, 1963).

ومع ذلك، تبدو المقاربة الكمية مشروعةً في إطار حقل تاريخ النساء، لأنها تُبرز العناصر التي أسهمت في نشأة هذا التاريخ وتطوره. وفي ضوء هذا التقديم، يصبح في الإمكان توسيع دلالة مصطلح "المؤرخات" بشحنات إضافية جديدة تُدرج نساء أخريات غير المؤرخات المحترفات اللواتي اكتسبن شرعيتهن الأكاديمية من خلال حصولهن على شهادات جامعية، وبلغن مراتب متقدمة، خاصة خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. فالمصطلحات بطبيعتها حمّالة لمعانٍ متعددة، وفي وسعها التعبير عن حقائق مختلفة.

المراجع

Agoult, Marie d'. *Jeanne d'Arc: drame historique en cinq actes et en prose*. Paris: Michel Lévy frères, 1857.

_____. *Trois journées de la vie de Marie Stuart*. Paris: Imprimerie de Pillet Fils Aîné, 1856.

Amalvi, Christian. *Répertoire des auteurs de manuels scolaires et de livres de vulgarisation historique de langue française de 1660 à 1960*. Paris: La Boutique de l'Histoire, 2001.

_____. *Répertoire des auteurs de manuels scolaires et de livres de vulgarisation historique de langue française de 1660 à 1960*. Paris: La Boutique de l'Histoire, 2004.

Bard, C. *Les filles de Marianne*. *Histoire des féminismes,* 1914-1940. Paris: Fayard, 1995.

Bard, C. et al. *Femmes et justice pénale, XIXe-XXe siècles*. Rennes: Presses Universitaires de Rennes, 2002.

Carbonell, C. O. *Histoire et historiens: Une mutation idéologique des historiens français* 1865-1885. Toulouse: Privat, 1976.

Charle, C. *La République des universitaires* 1870-1940. Paris: Seuil, 1994.

Charrier, E. *L'évolution intellectuelle de la femme*. Paris: Éditions Albert Mechelinck, 1931.

Chartier, R. *Au bord de la falaise: L'histoire entre certitudes et inquiétude*. Collection Histoire. Paris: Bibliothèque Albin Michel, 1998.

De Méritens, Allart. *Histoire de la République de Florence*. Paris: Moutardier, 1837.

Delacroix, Christian, François Dosse & Patrick Garcia. *Les courants historiques en France: XIXe-XXe siècles*. Paris: Armand Colin, 1999.

Hesse, C. *The Other Enlightenment: How French Women became Modern*. Princeton: Princeton University Press, 2001.

Labalme, P. H. *Beyond their Sex: Learned Women of the European Past*. New York: New York University Press, 1980.

Kaufmann, D. *Édith Thomas: a Passion for Resistance*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 2004.

Mayeur, F. *L'enseignement secondaire des jeunes filles sous la IIIe République*. Paris: Presses de la FNSP, 1977.

Mazenod, L. & G. Scheller. *Dictionnaire des femmes célèbres de tous les temps et de tous les pays*. Collection Bouquins. Paris: R. Laffont, 1982.

Noiriel, G. *Sur la "crise" de l'histoire*. Paris: Belin, 1997.

Palazzi, Maura & Ilaria Porciani (eds.). *Storiche di ieri e di oggi: Dalle autrici dell'Ottocento alle riviste di storia delle donne*. Rome: Viella, 2004.

Pellegrin, N. (dir.). *Histoire d'historiennes, Colloque organisé par la Société Internationale pour l'Étude des Femmes d'Ancien Régime (SIEFAR), Rouen, mai 2005*. Saint-Étienne: Publications de l'Université de Saint-Étienne, 2006.

Perrot, M. (dir.). *Une histoire des femmes est-elle possible?* Marseille: Rivages, 1984.

_____. *Les femmes ou les sciences de l'histoire*. Paris: Flammarion, 1998.

Picq, F. *Libération des femmes, Les années-mouvement*. Paris: Seuil, 1998.

Plante, C. *La petite sœur de Balzac*. Paris: Seuil, 1989.

Racine, N. & M. Trebishb (dir.). *Intellectuelles: Du genre en histoire des intellectuelles*. Bruxelles: Éditions Complexe, 2004.

Rogers, R. *From the Salon to the Schoolroom: Educating Bourgeois Girls in Nineteenth Century France*. University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 2005.

Smith, B. G. "The Contribution of Women to Modern Historiography in Great Britain, France, and the United States, 1750-1940." *The American Historical Review*. vol. 89, no. 3 (1984).

_____. *The Gender of History: Men, Women, and Historical Practice*. Cambridge: Harvard University Press, 1998.

Spongberg, M. *Writing Women's History since the Renaissance*. New York: Palgrave Macmillan, 2002.

Thébaud, Françoise. *Écrire l'histoire des femmes*. Fontenay-Saint-Cloud: ENS Éditions, 1998.

Thomas, E. *Jeanne d'Arc*. Paris: Éditions "Hier et Aujourd'hui," 1947.

_____. *Les femmes de 1848*. Collection Le Centenaire de la Révolution de 1848. Paris: Presses Universitaires de France, 1948.

_____. *Georges Sand*. Collection Classiques du XIXe siècle. Paris: Éditions Universitaires, 1959.

_____. *Les Pétroleuses*. Collection La Suite des Temps. Paris: Gallimard, 1963.

_____. *Pauline Roland: Socialisme et féminisme au XIXe siècle*. Collection Bibliothèque d'Histoire Économique et Sociale. Paris: M. Rivière, 1956.

Walton, W. *Eve's Proud Descendants: Four Women Writers and Republican Politics in Nineteenth-Century France*. Stanford: Stanford University Press, 2000.